جَمَالِيَّاتُ الرَّمْزِ والْإِيحَاءِ فِي الْأَدَبِ الْقَادِرِيِّ

«شِعْرُ الشَّيْخِ سَعْدِ أَبِيهِ الْفَاضَلِيُّ -رضي اللّه عنه- أَنْمُوذَجًا»

دراسة أدبيّة وصوفيّة تأصيليّة

إعداد/

أبي سعد أبيه الحاج مالك جُوبْ القادريّ - السّنغال

- باحث في مرحلة الدّكتوراه= النّقد والأدب
- ومهتمّ بإحياء التّراث القادريّ الإفريقيّ

جَمَالِيَّاتُ الرَّمْزِ والْإِيحَاءِ فِي الْأَدَبِ الْقَادِرِيِّ

«شِعْرُ الشَّيْخِ سَعْدِ أَبِيهِ الْفَاضَلِيُّ

-رضي اللّه عنه- أَنْمُوذَجًا »

مـلـخّـص الـبـحـث

الحمد للّه الّذي تدانت بحكمته الأرواح، وتباعدت بها الهياكل والأشباح.
والصّلاة والسّلام على النّبيّ الّذي للشّرّ مغلاق، وللخير مفتاح، وعلى آله وأصحابه وأزواجه أولي الفلاح والنّجاح.

وبعد؛ فإنّ من أبهى الشّرف للضّاد أنْ خصّها اللّه تعالى - عَزَّ وجَلَّ - بالقرآن، ورفع نفحاتها على سائر اللّغات بعد أن أكرمها بالبيان، وزاد على مزاياها الجمّة حيث أنزل القرآن بها على سيّد بني عدنان، ومنتهى التّحفة للّغة العربيّة أنّها هي لغة أهل الجِنان.
وعلى ضوء ما سبق، فإنّ الأدب الصّوفيّ القادريّ الفاضليّ، هو: تلك الواحة الرّوحيّة، والقلعة العرفانيّة، والدّوحة الذّوقيّة، الّتي انبجستْ من صمائم عقول مؤمنة، لثب سريان قلوب مفعمة، بالصّدق والإيمان والإخلاص، أَرِقَتْ ليالي مضنيّة، تُسَامر البُوميّات، وتُخامر الصّقريّات؛ لتصقل مرائي أسرارها نقيّة صفيّة عن حطام الفانيّة اللّاهيّة، والعقبات الشّهوانيّة الأربعة _ النّفس، والهوى، والشّيطان، والدّنيا _ الّتي تعوق الرّوح عن الوصول إلى الأفق، والرّجوع إلى الأصول.
ولذا؛ فإنّ هذه التّربيّة الرّوحيّة، والتّزكيّة القلبيّة، والتّرقيّة النّفسيّة المطمئنّة، تؤثّر إلى حدٍّ بعيدٍ جدًّا للغاية على النّصوص الشّعريّة = الصّوفيّة، وإبداعاتهم الفنّيّة، تأثيرًا روحيًّا بالغ الأهميّة في حياة المُريد السّالك الَّذِي - هو - عند سَيْره إلى اللّه تعالى بين التّلوين والتّمكين،

أو بين القبض والبسط، وكذلك أيضًا في حياة الفرد والمجتمع، وإن لم يَسْلُكا سَيْرَ دَرب القوم.

وليس من جِنس المبالغة في شيءٍ ، إذا قُلْنَا : إنّ شاعرنا القادريّ ، والصّوفيّ الرّبّانيّ: سعد الدّين أبي عبد العزيز شيخنا الشّيخ سعد بوه _ بيّض الله وجهه يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه - ابن شيخنا الشّيخ محمّد فاضل بن مامين القلقميّ الإدريسيّ الحسنيّ الهاشميّ (1264هـ_ 1335هـ / 1846م _ 1917م، على الأرجح)، رضوان الله تعالى عنهم أجمعين _ من فطاحل شعراء الأدب الشّنقيطيّ على وجه الخصوص ، والأدب الإفريقيّ على وجه العموم ، وإن لم تحظ مؤلّفاته بالدّراسات العلميّة الجادّة ، سيّما شعره الرّصين الّذي يُبَرهنُ على عُلوّ كعبه في قرض الشّعر العربيّ الفصيح ، ويؤكّد على تألّق شعره المفلق ، وتأنّق شاعريّته المحقّة ، بالتّنقيحات المحضة ، والتّحقيقات الأكاديميّة ، والتّحليلات الأدبيّة والتّخمينات الصّوفيّة ، والدّراسات النّقديّة، ... حتّى تقشّع النّقاب المضفي على قِيَم الجمال في الأسلوب الصّوفيّ، ومعاني الجلال في الرّسم الشّعريّ.

وينضاف على ذلك، محدوديّة حجمٍ لكميّة ضخامة إنتاجاته الشّعريّة الوفيرة، وعظامة إسهاماته النّثريّة الغزيرة، بين مخطوطة، ومرقونة ، متسكّعةً في المكتبات المريديّة ، ومتشبّعةً في القماطير الأجنبيّة.

وهو - أكمل الله تعالى له دُنيًا وأُخرًى كلّ ما يرتجيه - في الحقيقة والحقّ يُقال: لم يكنْ مجرّد شاعر مبدع بحت، بل طفا فوق ذروة البركان سنًى وعلًا، أي: إنّه كان من النّقّاد الأفارقة الأفذاذ، ... وقد تراه في بعض الأحايين يجري العمليّات الجراحيّة النّاجعة على قصائد المتشاعرين أو الشّعراء أنفسهم عند تجاربهم الشّعريّة، من المواريد وطلّاب العلم والمعرفة؛ قصد التّفحيص والتّفتيش، نحو التّصحيح والتّنقيح.

وقد منح لأحد مواريده وِسَامَ الإجادة للشّعر العربيّ، وهو العالم العلّامة، والفاهم الفهّامة، والطّمطام الصّمصام، والأديب الأريب، وعضده الأيمن، وأمين سرّه في الحلّ والتّرحال:

الشّيخ البشير ولد امبَاريگي الشّنقيطيّ- رحمه الله تعالى - ويقول شيخنا السّعد - رحمه الله تعالى - عنه:

إلى خير من يُنْمى إلى العلم والمجد ... سـلامٌ سـليمٌ فاق للحصـر والعدّ

فَمُوجِبُهُ أنّي لِشِـعْرِكَ حـامـدٌ ... وللنّثر قبل النّظم ما زِلْتُ ذا حَمْدِ

فوا الله ثُمّ الله إنّكَ شـاعرٌ ... وإنّك أوفى النّاس بالعهد والوِدّ[1].

- أسباب اختيار الموضوع:

تتلخّص أسباب اختيار الموضوع في عدّة بنود، منها:

1- محاول سدّ الفراغ الماثل أمام العِيان في دراسة علميّة حول المنتجات الأدبيّة للشّاعر الرّبّانيّ الشّيخ سعد أبيه القلقميّ رضي الله عنه؛

2- الحفاظ على التّراث السّعديّ الفاضليّ الثّمين، مخافة الضّياع، أو صار في عابر الأزمان من حديث (**كان وأخواتها**)، وقد أكله الدّهر وشربه، والعياذ بالله تعالى؛

3- تعلّق الباحث الوثيق بالحضرة السّعديّة الفاضليّة الرّوحيّة، وتقديره فوق الاعتبار بمؤلّفات وكتابات الأب الرّوحيّ، الّتي من خلال تعاليمها، وصل الباحث إلى ما دبّ إليه اليوم من علوم الرّواية والدّراية والمعرفة.

- مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في أنّ شنقيط هي بلدة المليون شاعر - والشّيخ سعد أبيه رضي الله عنه في طليعتهم - وقد حظيتْ عدّة أشعار جُلِّ من هؤلاء الشّعراء دراسات علميّة، أو تحقيقات أكاديميّة، اللّهمّ إلّا كتابات الشّيخ سعد أبيه الإدريسيّ رضي الله عنه، وحتّى

---

[1] ملامح الأدب الصّوفيّ القادريّ في ديوان الشّيخ سعد أبيه الفاضليّ الحسنيّ، دراسة ممزوجة بين التّحليل الصّوفيّ والنّقد الأدبيّ، بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها، في الجامعة الإسلاميّة بمنيسوتا / فرع السّنغال، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، قسم اللّغة العربيّة، صفحة: 110-11، إشراف الدّكتور أبو أسامة محمّد دخيسي/ المغرب، العام الدّراسيّ: 1443هـ_ 1444هـ/ 2022م_ 2023م، بتقدير: " **ممتاز**".

بعض كتب تراجم الأدباء والشّعراء للبلدة، لم يعالج فيها المؤلّفون شيئًا من هذا القبيل، ولو بضعة السّطور، وبعضهم ترجم لبعض تلاميذه، وأهملوا شيخَهم نِسيانًا أو متناسيًا، وأمّا كتب التّراجم هناك وفيرة.

يا تُرَى ما العرقلة الّتي شوّشتْ بينهم وبين شاعرنا الفاضليّ؟؟؟

والشّيخ سعد أبيه - رضي اللّه عنه - من طليعة فحول شعراء شنقيط أكتع بالجدارة، إذًا، يجب على الباحثين لفت أنظارهم إلى ضخامة إنتاجاته الأدبيّة، ورصانة إبداعاته الفنّيّة.

- أهمّيّة البحث:

تسلك مدارج البحث في حاجة الأفارقة، ومواريد الشّيخ ماسّة وملحّة في حين نفسه، إلى معرفة كنهيّة نِتَاجَات سعد الدّين أبي عبد العزيز الشّيخ محمّد سعد بوه - بيّض اللّه تعالى وجهه يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه - الأدبيّة والصّوفيّة، الّذي نافس بالعلن شعراء العرب في جودة قرض الشّعر العربيّ الفصيح.

يقول شيخنا السّعد رضي اللّه عنه:

بِجَيّد المدح لا بِجَيّد الغَزل ... لِسَيَّد الرُّسل لا لأعْيُن النُّجُل

قد كنتُ مشتغلًا ولستُ مشتغلًا ... عن مدح من مدحُه أحلى من العسل[1].

ومن أهمّيّة هذا البحث أيضًا: كشف اللّثام المتغطّي عن جمال شعره، وجلال شاعريّته، وعرضه على النُّقّاد العرب، والفحّاص الأفارقة [**الشّناقطة**] منهم؛ كي ينصبّوا موازين القِسط لشعر شيخنا الشّيخ سعد أبيه - رضي اللّه عنه - على كِفّتيْ الأدب الإفريقيّ والنّقد العربيّ، ويتمعّنوا بالدّقّة والإرواد، وينظروا:

- هل شعره حقيق بأنْ يُدْرس أم لا...؟
- وأن يُتَرجم لصاحبه أم لا...؟

---

[1] ديوان الشّيخ سعد بوه بن الشّيخ محمّد فاضل بن مامين ، دراسة وتحقيق وشرح الدّكتور يحيى ولد البرّاء ، ص:255، النّاشر: جمعيّة النّور السّاطع للتّراث والثّقافة ، طباعة دار الإسراء ، القاهرة ، ط:1، س: 2022م/ 1443هـ.

- وأن يُحَقّق أم لا... ؟
- وأن يُشرح أم لا... ؟
- وأن يُعالج أم لا... ؟

- أهداف البحث:

يهدف هذا الأدب السّعديّ إلى المرايا الآتيّة:

1- الإسهام في إبراز النِّتَاجَات الفاضليّة، والأدبيّات القادريّة، لواحدٍ من رجال العلم والزّهد والإصلاح والإبداع في إفريقيا الغربيّة جنوب الصّحراء؛

2- التّلويح لمدى أصالة الشّاعر الصّوفيّ في قرض الشّعر العربيّ الفصيح، وتوظيف نصوصه بالإختراعات الرّائعة، وتحليّة أشعاره بالمحسّنات البديعيّة، ونعت عباراته بالتّصويرات البيانيّة، مع مساوت المباني بالمعاني.

- أسئلة البحث:

يتوخّى البحث للإجابة عن هذه التّساؤلات الآتيّة:

1- كيف ندرس الأدب الصّوفيّ الإفريقيّ دراسة علميّة جديدة في الواقع المعاش؟

2- ما مكانة الأدب العربيّ في شخصيّة الشّيخ سعد أبيه - أكمل اللّه تعالى له دُنْيًا وأُخْرًا كلّ ما يرتجيه - الشّعريّة والنّثريّة؟

3- ما مدى استيعاب سبر أغوار عبقريّة الشّيخ سعد أبيه - رحمه اللّه تعالى عليه رحمة واسعة سابغة - في نسج القريض العربيّ الفصيح؟

- منهج البحث:

المنهج المنشود بالذّات هنا، والمتّبع في هذا البحث الرّاهن من طرف الباحث، هو: المنهج الوصفيّ التّحليليّ، أي يدرس الباحث ظاهرة النُّقطة المستهدفة، وتحديدها في إطار نظريّ

مصوّر، ثُمّ القيام بتحليل القضايا الأدبيّة والصّوفيّة ونقدها [**البنّاء = الهدّام**]، ملائمًا مع مقتضيات الموضوع، وأمّا قبل؛ عرض التّعريف البسيط أو التّمهيد للموضوع المدروس عليه.

- **هيكل البحث:**

قام الباحث بتقسيم دراسته إلى ملخّص له، وثلاثة فصول وخاتمة، وكلّ فصل تكنفه ثلاثة مباحث، والتّقسيم يتبسّط على النّسق الآتي:

- **الفصل الأوّل**: عبقريّة الشّيخ سعد أبيه - رضي اللّه عنه - في قرض الشّعر العربيّ الفصيح

المبحث الأوّل: أهمّيّة الشّعر العربيّ لدى شيخنا السّعد رضي اللّه عنه؛

المبحث الثّاني: العوامل المؤثّرة في تجربة شعره، وتخلقة شاعريّته؛

المبحث الثّالث: خصائص الشّعر الصّوفيّ للشّاعر الرّبّانيّ الشّيخ سعد أبيه رضي اللّه عنه.

- **الفصل الثّاني**: أغراضه الشّعريّة رضي اللّه عنه

المبحث الأوّل: الأغراض الشّعريّة القديمة؛

المبحث الثّاني: الأغراض الشّعريّة الجديدة؛

المبحث الثّالث: ضخامة إنتاجاته الشّعريّة رضي اللّه عنه.

- **الفصل الثّالث**: جماليّاتُ الرّمز والإيحاء في الأدب القادريّ الفاضليّ «**شعر الشّيخ سعد أبيه - رضي اللّه عنه - أنموذجًا**»

المبحث الأوّل: مفاد الرّمز والإيحاء في المعاجم اللّغويّة، والمصطلحات الصّوفيّة؛

المبحث الثّاني: رموز الخمر والسّكر والثّمل في الحضرة السّعديّة الفاضليّة القادريّة؛

المبحث الثّالث: نموذج حيّ في شعر شيخنا السّعد - رضي اللّه عنه - بين الفناء بالرّوح، والبقاء بالذّات.

الفصل الأوّل:

عبقريّة الشّيخ سعد أبيه - رضي اللّه عنه - في قرض الشّعر العربيّ الفصيح

المبحث الأوّل:

أهمّيّة الأدب لدى الشّيخ سعد أبيه القلقميّ، رضي الله عنه

إنّ من أهمّ ما تكوّنتْ شخصية الشيخ سعد أبيه الأدبيّة والفكرية بيئته الصّحراويّة، وبلدته الشّنقيطيّة، ولا غرو في ذلك، فشنقيط بلد المليون شاعر، وعبّر العلّامة المختار بونهْ عن الانتصار الذي أحرزته المحظرة على ظروفهم القاسيّة، فنالوا شرف العلم، متّخذين ظهور الإبل مدرسةً بقوله:

ونحن ركبٌ من الأشـــراف منتظم أجـلّ ذا العصـــر قـدرًا دون أدنـانـا

قد اتّخذنا ظهور العيس مدرســـة بهـا نُـبـيّـن ديـن الله تِـبـيـانـا[1].

ويصرح الدّكتور يحيى ولد البراء إلى أنّ ديوان الشّيخ سعد أبيه - رحمة الله تعالى عليه - قد يكون من أضخم دواوين الشّعر الموريتانيّ ؛ جرّاء صبغة أكثر توسّلاته وأدعيّته وابتهالاته شعرًا ، ومردّ ذلك يهدف إلى تعلّقه القويّ بالأدب ، كما تعكس ذلك مقتنيّاته من الكتب ، أو إلى أنّ التّوجّه إلى الله بالكلام المنظوم أدعى للإجابة كما يقول الخبراء بذلك الشّأن[2].

يقول الشّاعر الصّوفيّ الكبير:

مدحتُ بشعري سراجًا عجوزْ لعلّـي يـوم المـلام أفـوزْ

وقد دشّن الشيخ - رضي اللّه عنه - مرحلة التّجربة الشّعريّة في وقت مبكّر جدًّا للغاية من حياته العلميّة، إذ؛ إنّ قلبه ينبض شعرًا، وينبع جمالًا، ويثمر رونقة وروعة، يقول العارف باللّه تعالى، قطب تزنيت، شيخنا الشّيخ ماء العينين - رضي اللّه عنه - حول الموضوع

---

[1] المديح النّبويّ في الشعر الموريتانيّ الفصيح (**النشأة ومراحل التطور**) - إعداد: محمّد فاضل ولد أحمد، صفحة: 24، مرقون بحوزة الباحث.

[2] المرجع السابق: ديوان الشيخ سعد أبيه، صفحة: 71.

المنشود بالذّات، ما نصّه:

حـيّـا إلـه الـورى فـتًى وبـيّـاه أُنـيـلَ أعـلى مـعـالي السّـعـد حـيّـاه

اخْصصْ بذا سعدنا سعد السّعود ومنْ أعـطـاه مـولاه مـذ أنشـاه ريّـاه[1].

وقد صاغ الشّيخ سعد أبيه- رضي اللّه عنه - باكورة تجاربه الشّعريّة الغنائيّة عند أوّل سنّ الرّشد والنّضج، وهو في وكرة شيخه المربي العارف باللّه تعالى أبي المأمون شيخنا الشّيخ محمد فاضل بن مامين، رضي اللّه عنهما.

والحكاية المؤثّرة على تلك الحافزة هي: ما روي فيه - رضي اللّه عنه - أنّه خرج ذات يوم مع أنداده وأترابه من الغلمان ليلعبوا، ولمّا خرج إلى عتبة الباب أمسكتْه الأرض مرّة وثانية، وفي الثّالثة رجع إلى البيت، وهو يقول: " أنا لم أُخلق لألعب، وجلس برهةً، ثم هيّجتْ قريحته، وجادت بأولى قصيدة، من تجربته الشّعريّة وهي:

يـاصـاحـبيَّ دعـانـي إنّـي عُـبـيـدٌ دعـانـي

زجـر بـنـصّ الـقـرآن عـن مـألـفـات الـنّـفـوس

وإنّـي قـد دعـانـي خـوفي يـوم الـتّـدانـي

عـن حـبّ لـهـو الـغـواني عـن مـألـفـات الـنّـفـوس

يـومٌ عـظـيـمٌ أتـانـي بـه كـتـاب الـبـيـان

وهـو نـاهٍ وثـانـي عـن مـألـفـات الـنّـفـوس

يـخـاف مـنـه لسـانـي ومـقـلـتـي وجَـنـانـي

ومسـمـعي وبَـنـانـي عـن مـألـفـات الـنّـفـوس

وهـو يـوم الـقـيـامـهْ وهـو يـوم السّـئـامـهْ

وهـو يـوم الـنّـدامـهْ عـن مـألـفـات الـنّـفـوس[2].

---

[1] ديوان الشيخ ماء العينين، صفحة: 234

[2] قصيدة طويلة جدًّا من ديوان الشّيخ سعد أبيه - مكتبة أبي سعد أبيه الحاج مالك جوب القادريّ، صفحة: 409، مرقون بحوزة الباحث.

المبحث الثّاني:

العوامل المؤثّرة في تجربة شعره، وتخلقة شاعريّته

تختلف المؤثّرات الدّاعيّة لخلق الإبداع من شاعر لآخر، ومن أديب لأديب آخر، وذلك حسب تباين البيئات، وتغاير الوراثة.
وكان لهذين الأمرين - البيئة والوراثة - أثر كبير في تكوين شخصية شاعرنا، وجعلتاه يتمتّع بطاقات أدبيّة وافرة، أرختْ بظلالها وارفة:

✓ العامل البيئي: ترعرع الشّاعر في بيئة مليئة بالعلم والصّلاح، تحت كنف الوالد، الذي له باعٌ طويل في قرض الشّعر، واجتهد شاعرنا الصّوفي على ساعد الجدّ والحزم؛ كي يسير على دروب الأجداد للتّحصيل المعرفيّ، والتّسلّق على أفق الإبداع، وصناعة الجمال، وسحر القلوب بالشّعر والفنّ؛

✓ العامل الذّاتي: فقد كان الشيخ سعد أبيه- رضي اللّه عنه - يهتم بالقراءة والمطالعة غاية؛ إذْ، مكث في مكتبة والده زمنًا غير يسير، للانكباب على المطالعة والنّظر، واشترط الوالد على أن يقبل بيعته كمريد تربيةٍ، وأن تكون مطالعته خدمةً لشيخه؛

✓ العامل التّراثيّ: وعن نتاجات تلك المطالعات رسختْ في شخصية الشّاعر الصّوفيّ هذا إبداعات فحول الشّعراء الشّناقطة والأفارقة والعرب وغيرهم، وتذوّق عن إنتاجاتهم الأدبيّة (**الشّعريّة= والنّثريّة**)؛

✓ العامل السّياسيّ: قد أنتج دخول المستعمر الفرنسي بلاد شنقيط عدّة نظريّات واختلاف وجهات النّظر والرأي بين العلماء أنفسهم، وحتّى الشعراء، الأمر الّذي أدّى إلى ردود فعل بالإبداع والفنّ؛

✓ العامل الدّينيّ: لقد نشأ الشّاعر في ظلّ تربيّة دينيّة صوفية وطنيّة، وتشعّبتْ نفسه انطلاقًا من محظرة والده الأب الرّوحيّ للطريقة الفاضليّة القادريّة بغرب أفريقيا.
وعلاوةً على ذلك، فمن الجدير للغاية أن يتشمّر الشّاعر الصّوفي للحفاظ على البيضة الفاضليّة، ويسعى على سبيل نهضتها، ولا يتسنّى له هذا العويص إلّا التّسلّح بعباءة المعرفة والعلم، والتّضلّع باللّغة العربيّة الفصحى، ويرفض النّظام الفرنسي الجارف، ويقاوم الغزو الفكريّ والثّقافيّ، مع قمعهما من المنطقة أكتع.

المبحث الثّالث:

خصائص الشّعر الصّوفيّ للشّاعر الرّبّانيّ الشّيخ سعد أبيه رضي الله عنه

يرتبط تمييز خصائص الشّعر بفرع من فروع الدّراسات اللغويّة الحديثة، ألا وهو علم الأسلوب الّذي " يهتمّ ببيان الخصائص الّتي تميّز كتابات أديب ما، أو تميّز نوع من الأنواع الأدبيّة بما يشيع في هذه أو تلك من صيغ صرفيّة مخصوصة، أو أنواع معيّنة من الجمل والتّراكيب، أو مفردات يؤثّرها صاحب النّصّ الأدبيّ ".

وهذه الميزة الخاصّة يحرص عليها كلّ مبدع ؛ لأنّها تعبّر عن شخصيته تعبيرًا صادقًا ، فغيابها يعني ضعف الملكة الفنّيّة عند الأديب[1].

فأشعار الشّيخ سعد أبيه - رضي اللّه عنه - تمتاز بخصائص عدّة الّتي بها تفرّد عن غيره من الشّعراء، ومن أهمّها ما يلي:

✓ طغيان معجم التّصوّف الإسلاميّ في شعره من الألفاظ المعرفيّة، والعبارات الذّوقيّة، ورموز صوفيّة، كألفاظ سرّ، وسرّ السّرّ، والفرق والجمع، والقبض والبسط، والنّاسوت، والملكوت، والهاهوت، واللاهوت، وغيرها من المصطلحات الصّوفيّة.

ومثال ذلك قوله:

وسـرّ مـا دلّـتْ عليـه النّقطـة فـهي الـتي لـهـا الـعـلى والـعـزّة

ومـا في ضـمنهـا من الأسـرار السّـرمـدانـيّـة والأنـوار

---

[1] ينظر: البعد الفني في شعر المديح النّبويّ عند الشّيخ أحمد بمب امباكي - تأليف الدكتور عبد الأحد لوح، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، صفحة: 51.

وسـرّ لمحهـا إلى الوحـدانيّـة وجـذبهـا لحضـرة الـفـردانيّ
وبتصـاريف مقـادير مـدد سـرّ الرّبوبيّـة في كلّ الأبـد
كـالجزئيّـات كلّهـا والكلّيّـات وكـالمعـاني والأوانـي والـذّوات[1].

✓ وفرة إيراده - رضي الله عنه - بأسماء الله تعالى العجميّة عند التّوسّل والدّعاء، ومن أمثال ذلك، قوله:

" صَلْصَمَتْ وَحَوْسَمَتْ وَبَارِخَا" اجعـل إيمـاني يـاإلاهي راسـخـا
نـور الألـوهيّـة في الـدّيجـور نـوّرْ بـه ضـريـحي في الـقـبـور
يـا "قَلْهَمَتْ يـا هَلْهَمَتْ يـا بَارِخَـا اجعـل لي نـوري للظّلام نـاسـخـا
والقبر لايضـمّني ضـمًّا غليظْ يـا "هَـدَلُ يـا قَـدَلُ شَـهَـاشْ" يـا
والمـوت لا يـغـمّـني والـبـرزخُ يا "اَسْـبَلَتْ يا جَلْجَلَتْ يا شَـمَخُ[2]".

✓ التّوسّل بأسرار الحروف الأبجديّة أو حروف (أَيْقَشِ)، ومن مثال ذلك قوله:

بـالهـاء والميم وعين العظمـهْ أكـرمْ لـنـا بـفـخـر عـزّ المـرحـمـهْ
بـالسّـين والـقـاف وعـزّ ذيْـن فـوالـنـا عـافـيّـة الـدّاريـن[3].

✓ ورود بعض المصطلحات الّتي يقصد بها تقييد الأعداد للسّنوات أو الأشهر، بحساب الجمل، وهذا لا يفكّ غموضها إلّا دارسي علم التّحسيب، وهي من أذواق الصّوفيّة، ومنها قوله عند تقييد سنة ولادة شيخه وسنة وفاته:

---

[1] ديوان الشيخ سعد بوه ابن الشّيخ محمد فاضل بن مامين - ت: د. يحيى ولد البراء، جمعية النّور السّاطع للتّراث والثّقافة، صفحة: 650.

[2] المصدر السّابق: الدكتور يحيى ولد البراء، صفحة:650.

[3] المصدر السّابق، الدكتور يحيى ولد البراء، صفحة: 628.

غوث الورى من بطن أُمّه برزْ في ليلة الأحد من شعبان " كَزْ[1]"

بِ " يَا " المحرّم وبدرها سكنْ عن المسير إذْ على الغوث حزنْ[2].

✓ التّصريح باسمه في مطالع بعض قصائده أو في خواتيمها، وأحيانًا في الوسط، اللّهم إلّا نادراً كالإرشادات والتّوجيهات، ونحو ذلك، ومن أمثلة ذلك:

أ- قصيدة السّلسلة القادريّة:

قال أبو عبد العزيز الأمثلي مستغفرًا من كلّ ذنبٍ أزلي.

ب- منظومة منبّه الأخيار في ضعف بعض شائع الأخبار:

قال أبو عبد العزيز الهاشمي سعد أبيه الفاضلي القلقمي .

ت- منظومة روضة الورّاد ونزهة الزّهّاد والعبّاد:

قال أبو عبد العزيز الفاطمي الحسني الفاضلي القلقمي.

ث- تأريخ ميلاد ووفاة شيخه:

قال أبو عبد العزيز سعد أبيه لله تعالى الحمد[3].

✓ العزوف عن المطالع الغزليّة والطّلليّة، وسدّ مكانتهما بمقدّمات دينيّة كالحسبلة، والحمدلة، والحوقلة، والهيللة، والصلاة على النبيّ والسلام عليه، وغير ذلك.

---

[1] رمز " **كز** " من حساب الجمل ، يساوي: 27 من شهر شعبان ، والحرف الياء ، يساوي: 10 من ذاك الحساب.

[2] المصدر السّابق: الديوان، صفحة: 89.

[3] ينظر: التّجليات النُّورَانِيَّةُ في السِّيرة السّعديّة، تأليف الباحث أبي سعد أبيه الحاج مالك جوب القادريّ، صفحة: 41، منشورات تمبوكتو للنّشر والتّوزيع، دكار= القاهرة، الطّبعة: 1، سنة الطّبع:2024م.

✓ وأمّا خواتيم قصائدها، فجُلّها تختتم بالصّلاة على النّبيّ الأمّيّ ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ أو التّوسّل بالآل، والأصحاب، أو الدّعاء لمواريده، وأبنائه، وأهل حضرته العامرة، وطريقته السّنّيّة.

✓ الإكثار من اللّغة الجزلة، والمفردات القاموسيّة المستعصبة، فتأتي بعض نصوصه مستغلقة ، وحتّى على الحاذق الخرّيت في مسالك اللغة ، تعليمٍ لدارس ، فهي تدور فيما فهمناه، بين تقديم إفادة أو تذكير بلازمها.

وعلى كلّ، فهي تظهر تنبّه الشّيخ لأهميّة علوم اللغة، وحرصه على نشرها بين مريدي حضرته. وقد يكون لذلك ما يبرز إذا رأينا منزلة هذه العلوم في برامج التّدريس في المحظرة في الجنوب الغربي من موريتانيا الذي قرّر الشيخ السّكن به[1].

ومن أمثلة تلك الأنماط من اللّغة الجزلة ما يلي:

مدحتُ بشعري سراجًا عجوزْ لعلّي يوم الملام أفوزْ
عليه صلاةٌ تدوم كما يدوم الشّعاع بوجه العجوزْ
فهو الرّسول وهو النبيّ وهو الشّفيع لأهل العجوزْ[2].

ومن تلك الأمثلة أيضًا لشاعرنا المفلق:

أحمد من بأنفس النّفائس أرسل خير مرسل وحارس
صَلَّى عليه عدد الهكارس وعدد الجِيتان والموارس
وآله وصحبه النّبارس سادات كلّ قاطن ومائس

[1] المصدر السّابق: الديوان، صفحة: 73.

[2] المصدر السّابق: الديوان صفحة: 74.

ربّ بهم قِنَا من الدّهارس وبطر الأشرار والقداحس
وكلّ من ألزق بالأكارس وكلّ نومان وذي تناعس
وكلّ من كان من الهكارس وكلّ ذي زهد وذي تنافس[1].

ومن تلك الجزالة من قصائده أيضًا:

الله ربّي وربّ الرّسل والملك ربّ العباد وربّ الفُلْكِ والفَلَكِ
واللّوح والعرش والكرسي ومن حملوا وهو ربّ الثّرى والنّجم والهلك
وهو الذي خلق الأجناس من نُطفٍ وخالقٌ كلّ ذي لينٍ وذي عرك
وهو الذي خلق الإنسان في كبد وهو مُنْشٍ لفرع كلّ ذي عتك
وهو الذي نفخ الأرواح في مُهج فكان ذلك منه أيّما فنك[2].

[1] المصدر السّابق: الديوان، صفحة: 74.

[2] المصدر السّابق: الديوان، صفحة: 75.

الفصل الثّاني:

أغراضه- رحمة اللّه تعالى عليه - الشِّعريّة

المبحث الأوّل:

الأغراض الشِّعريّة القديمة

إنّ الغرض الشّعري غالبًا، ما يكون من نتاج البيئة التي عاش فيها الشّاعر ، فهي المحرّك الأساس للعواطف والأحاسيس ، وهي المعين الّذي يستقي منه أيّ شاعر أغراضه وفنونه ، وقد عاش الشّعراء في بيئات ومجتمعات مختلفة ، ماجعل أغراضهم وأشعارهم تتّفق حينًا ، وتتباين حينًا آخر[1].

وتناول شاعرنا الشّنقيطيّ بعضًا من الأغراض الشِّعريّة الّتي قال فيها الشّعراء، ونسجوا، وإن لم يغطّ كلّ الأغراض المعروفة في الشّعر العربيّ. وذلك أمر متوقّع ، فصفة الشّاعر المتميّزة ، وهي كونه شخصية دينيّة وروحيّة ، تمنعه التّطرّق لمثل هذه الموضوعات، ولذا ؛ من الطّبيعيّ جدًّا للغاية ألّا نجد له شعرًا في المدح التّكسّبي ، ولا في الهجاء وغيرهما[2].

وسوف نتطرّق إلى عرض بعض الأغراض التي خاض شيخنا في لجج عمقها، وأمواج عُبابها، تاركًا البعض لا التّناسي ولا النّسيان.

_ أوّلًا: الغزل

- **الغزل الفنّي الوجدانيّ**

يبتعد الشّاعر في " الغزل الفنّي الوجدانيّ" عن مجرّد محاكاة القدماء، بل يستقي معانيه من تجارب واقعه، ويملأ بها قصيدته التي لا تعرف غالبًا المقدّمة الطّلليّة ؛ لأنّ جلّ أبياته

---

[1] ينظر: كتاب الشّيخ الحاج مالك سي حياته وشعره - الدّكتور محمّد انياغ ، صفحة: 70 ، مرقون بحوزة الباحث

[2] المصدر السّابق: الديوان، صفحة: 80، بتصرّف يسير.

غزليّة تستعين بالصّور الفنّية المستقاة من آثار الوجدان ؛لذا ، فهو غزل فنّي وجداني[1].
ومن القصائد الشّعرية التي في مطالعها غزل فنّي وجداني، من إبداعات الشيخ سعد أبيه - رضي اللّه عنه - هذه الأمثلة:

أ- وصيّة لتوأمته وشقيقته الشّيخة سعاد ابنة الشّيخ محمد فاضل بن مامين- رضوان اللّه تعالى عليهم أجمعين - يقول:

يـا رُبَّ خَـود ذات دلّ ودد أشـهى لَمًى من دعـد ومهـدد
أنيـابهـا ممزوجـة بعسـل تـفـترّ في ابـتسـامـهـا عـن بـرد
تجمع بين صـبح حسـن وجهها لنـا وبين ليـل شـعر أجعـد
مريضـة الأجفـان ذات حور عـيـنـاء كـحـلاء بـدون إثـمـد
أحسـن من عينـاء ذات بُرغُز تـرعى الـبرير في فضـاءٍ أجـرد
عفيفـة منيـة كلّ عـاشـق خـريـدة تـزري بـكـلّ الـخـرّد
ألوتْ بحلمي فصـار زبدًا تـرمـي بـه أمـواج كـلّ مـزبـد[2].

ب - تغزّله بحليلته بنت الحسن والدة الشّيخ بُونَنّ ، والسّيدة لالّهْ:

مـا إن رأيـتُ بـدرةً تُسـبـي مـنـذ زمـن
كـمـا سـبـتْـه مِـقـةً بـلـحـظـهـا بـنـت الـحسـن
يـعـتـادني في غـيـبـتي طـيـف هـواهـا بـالـوهـن
ولا أذوق مـعـهـا في مشـهـد طـعـم الـوسـن
تُسـبي الحـليـم فـيرى ال حسـن لـيس بـالحسـن

---

[1] الشّعر العربيّ في الغرب الإفريقيّ خلال القرن العشرين الميلادي - الدكتور كَبَا عمران ، منشورات إيسيسكو ، المجلّد الثاني ، صفحة: 512

[2] المصدر السّابق: الديوان، صفحة: 173

تُنسي الغريب أهله وما له من الوطن
إن ظعنتْ فظاعن أو قطنتْ بها قطن
رشفُ رضاب ثغرها يشفي من أمراض الحزن[1].

_ ثانيًا: الفخر

▪ الفخر الصّوفيّ

ولمّا كانت درجات الشّيوخ الصّوفيّة مكتومة عن غيرهم، ولا سبيل إلى معرفة أتباعهم بها سواهم، فضّل كثير منهم التّعبير عن مقامات، ولا يتّهم شعرًا، ليبقى سجلًا في ذاكرة الأجيال، وليتناقله أتباعهم، وليس رياءً منهم، بل يرونه تحدّثًا بنعمة ربّهم تعالى.

ومن المعلوم أنّ مقامات الولاية عندهم كثيرة ومتنوّعة ، لذا ؛ جاءت مفاخرهم متباينة ، كلٌّ يعبّر عمّا فتح الله تعالى عليه من نفحاته الرّبوبيّة[2].

وعلى ضوء هذا الصّدد يقول الشّيخ سعد أبيه القلقميّ:

بِقَلبِيَ سرّ الكون والأمر مختف وأمريَ أمر الله مذْ كان أمريا
ونوميَ خوضُ الغيب إن كنتُ نائمًا وجَلَّ جلال الغيب عن حال نوميا
ولستُ لدى الأكوان رَاءٍ حقيقتي وإن غُصْتُ في المولى تراني فانيا
إذا ضاءت الأنوار فاض سرّها هنا تظهر الأنوار من سرّ سرّيا
إذا لاحتِ الأسرارُ في كل وِجهةٍ تَجِدْنِيَ موجودًا من السّرّ باقيا
وروحي روح الكون فازتْ بنصرها ومشربها من عين تحقيق نوريا
إذا كمل الأقطاب في كل مشهد ففي الذّات عين الذّات كماليا

---

[1] المصدر السّابق: الديوان، صفحة: 284

[2] المرجع السّابق: الدكتور كبا عمران، منشورات إيسيسكو ، ج: 2 ، صفحة: 524

وقلبي لأنوار الغيوب مدبّر وفي حضرات القدس أقوى تعاطيا
ولله ربّ العرش سلّمتُ أمريا وبالحكم قد رضيتُ والله حسبيا
وموتي على الإيمان أرجو تفضّلًا وسترًا عن الأملاك يخفي مساويا[1].

ويقول الشّيخ سعد أبيه - أكمل الله تعالى له كلّ ما يرتجيه - أيضًا عن الشّراب الصّافي الّذي ذاقه ، ولم يعلّ مورده أحد من القوم:

شربتُ شرابًا لايُقاس بشربكم من الحبّ والأهوا وقرب الذي أهوى
لذيذًا لدى سرّي شهيًّا لدى نفسي يعاف به الحلواء والمنّ والسّلوى
له يزدرى ريقُ الغواني ورشفه كما مجّت الأفواه من طيبه القهوى
تنورُ به الألباب نورًا مطلسمًا وتعدى به الأذهان يا حبّذا العدوى
شرابًا يزيلُ العقل من كل عاقل ويثبت بعد العقل في طيّه سهوا
شرابًا به الألباب في كل نعمة وبالنّار من ذا الشرب في ضمنها تكوى
فما هو للظّمآن بالرّيّ نافع ولا يعطش الرّيّان بالحبّ والأهوى[2].

_ ثالثًا: الرّثاء

▪ الرّثاء الأخويّ أو الرّوحيّ

من الغريب أنّ الشّيخ سعد بوه - بيّض الله وجهه يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه - لم يرثْ، كما تعكس ذلك نصوص شعره أحدًا من الأعلام المشهورين من أهل محيطه الجغرافي الذين ربطتْهم وإيّاه علاقات حميمة.

وإنّما اقتصر رثاؤه على محيطه الأسري أو مريديه المقرّبين.

---

[1] المصدر السّابق: الديوان، صفحة: 304-305.

[2] المصدر السّابق: الديوان، صفحة: 300.

1- رثاؤه لحليلته السّيدة السالمة بنت الحسن:

عليكِ سلام الله يا قبرُ ... ويا خير من تعزى لصاحبه عشر
سخاء وحلم ثم عقل مهذّب ... وصبر جميل لا يماثله صبر
وجود إذا ما النّاس ضنّوا بمالهم ... فمالك لا يلفى عليه إذًا جِسر
وبذل مع الإخفاء للجار كلّه ... ويا حبّذا بذل يعضّده السّتر
ودين وآداب وذانِ سجيّة ... ووجه طليق لايكون به ضجر
وخُلق كأخلاق الكهول نفاسة ... وما كلّ كهل كان عمري له العشر
فيا ربّ يا رحمان أقبلْ فعالها ... وعجّلْ لها الغفران يالله يا برّ
وعجّل لها الرضوان منك تفضّلًا ... بجاه رسول جآ له العزّ والنّصر
عليه صلاة الله ما دام سيّدًا ... وما نِيلَ بالإحسان من ربّنا الأجر[1].

2 - رثاؤه لابنه الدّبلوماسي وأمين سرّه من قبل، الشّيخ الحضرامي دفين غُمّبَ غِيوولْ - لوغا- السّنغال:

يا رحمة الله إنّ " انْكُنْبَ" تطلب ما ... به تجودين من عفوٍ وغفران
ومن نعيم إلى قبر توطّنها ... ومن سرور ومن روح وريحان
قبر البُنيّ الذي بنوره شهدتْ ... كلّ المعارف من أهل وجيران
فاغفر كبائره ، واغفر صغافره ... واغفر لزائره من كلّ إنسان
وسّعْ له القبر تأتيه به تحف ... من النّعيم بكفّي كلّ ريحان
بجاه أحمد والآل الكرام له ... أنّسْ فإنّك ذو فضل وإحسان[2].

[1] المصدر السّابق: الديوان، صفحة: 195-196.

[2] المصدر السّابق: الديوان، صفحة: 209

3- رثاؤه لبعض مواريده المقرّبين، ومنهم: الشيخ أحمد فال، والشيخ اعمر مولود ولد شيبة الأنتابي، وأخيه لأمّه الشّيخ باب ولد سيدي إبراهيم الأبيري.

- *الشّيخ أحمد فال:*

أرفقْ من يرفق بِيَ في السّفر مريدي أحمد فال صافي الكدر
كأنّه عند ابتغاء وطري يُنبئني بخافيّات مضمري.

- *الشّيخ اعمر مولود ولد شيبة الأنتابي:*

يا رحمة الله أُمِّي الغوثَ واسقيه من الرّحيق وفي الفردوس ألقيه
ولازمي قربه وآنسيه ومن جميع ما يشتكي في قبره قِيه

- *الشّيخ باب ولد سيدي إبراهيم الأبيري:*

اغفرْ لكلّ من لنا قد انتمى اغفرْ لِبَابَ كلّما قد قدّما
فاصبُبْ عليه رحمة تسرّ وللأمان والرّضى تجرّ
نوّرْ له القبر بالنّور والرّحمة ووسّعنّه بالفضل والعريّة.

المبحث الثّاني:

الأغراض الشّعريّة الجديدة

يمكن أن نعدّ من الأغراض الشِّعريّة الجديدة، تلك الأغراض الّتي لم يطرقها الشّعر القديم، سواء أكان في الشّعر الجاهليّ أم الإسلاميّ، أي: لم يفرد لها الشّعراء قصائد فضلًا عن الدّواوين الشِّعريّة، وإن وجدتْ إشارات إلى معانيها في بعض قصائد القدماء.

ومن تلك الأغراض الشِّعريّة الجديدة نختار منها ثلاثة أغراض الّتي أدلى بها الشّيخ سعد أبيه - رحمة الله تعالى عليه - دلوه؛ كي يستقي من فيض معينه العذب، وهي: التّقريظ، والوصيّة، والمناظرة.

أوّلًا: التقريظ

للشّاعر الصّوفي الشّيخ سعد أبيه - أكمل اللّه تعالى له دُنْيًا وأُخْرًا كلّ ما يرتجيه - علاقات حميمة مع أهل زمانه من العلماء والمشايخ، لذا؛ يجدر جدًّا للغاية أن يقرّظ كتابات البعض منهم، وهم كثر، وعلى سبيل المثال لا الحصر:

1- تقريظ كتاب " **دليل الرّفاق على شمس الاتّفاق**" لأخيه العارف باللّه تعالى الشّيخ ماء العينين ابن الشّيخ محمّد فاضل بن مامين، رضي اللّه عنهما:

شمس اتّفاق شموس العلم وضّحها ... من هو للغامض المجهول وضّاحُ

علوم شرع رسول اللّه هذّبها ... بكلّ نصّ بعيد الغوص برّاحُ

نصوص " شمس اتّفاق" شمس ... وشرحه للهدى ضوء ومصباحُ

سَلِ البيان وسلِ علم الأصول وسلْ ... علم اللّغى هل لها بالشّيخ إيضاحُ
وإن نتائج علم المنطق اشتبهتْ ... فلبسها ببيان الشّيخ ينزاحُ
وسل إن شئت علم الفقه إنّ له ... يدًا بسيطةً باع فيه ترتاحُ
وذا الحساب وعلم الطبّ يخبركم ... أنّ الإمام له بحث وإفصاحُ
شيخ المشايخ ما العينين قدوتهم ... ما مثله في علوم السّرّ سبّاحُ[1].

2- تقريظ كتاب تفسير لشيخ الإسلام فخر الدّين الرّازي، المسمى ب "*التّفسير الكبير*" أو "*مفاتيح الغيب*"، وهو من أطول كتب التّفاسير القديمة والحديثة:

حُقّ الفخار لمن بالفخر يفتخر ... مهذّب دُرّه ما مثله درر
أهدى لنا حكمًا ما مثلها حكم ... يُملي لها قمر ما مثله قمر
قد غاص في عيلم العرفان ممتطيًا ... فلك الشّرائع لا يُشينه الخور
فاضتْ على قلبه العلوم ثمّ لها ... في الفخر أودع ما إن مثله زفر[2].

3- تقريظ كتاب" **نقلة** " للشّيخ سيدي باب ابن الشّيخ محمد الخليفة ابن الشيخ سيدي الكبير:

قُلْ للمحاول شأو الشّيخ سيدي لا ... تتعب لنفسك ذات الزّيغ والأود
أتى بنبذة علم لا نظير لها ... كالدّرّ إن برزتْ في سالف الأبد
لأنّها جمعتْ آيُ الكتاب وما ... سنّ الرسول لنا في يومنا وغد
فاشددْ يديك على نصوصها وعلى ... نقولها وافْشِها في كلّما بلد

[1] المصدر السّابق: الديوان، صفحة: 696

[2] المصدر السّابق: الديوان، صفحة: 198

شـــافِـهْ ولا تتكلّم حـال غيبتـه يا ناقدًا جاهلًا واكشــفْ عن العضــد[1].

تقريظ كتاب " **ورود النّعيم في الصّلاة على الحبيب الرّحيم**"، للعارف بالله تعالى حقًّا الشّيخ محمّد فاضل بن محمد بن عبد الرحمن اعبيدي (**1229- 1321 م**)، يقول الشّيخ عنه:

لعمري لقـد لاحـتْ بوارق مِن سـرّي نـتـائـج أفـكـار تـجـلّـت عـن الـدهـر
تـبـدّت بـإشـــراق وأومـض بـرقـهـا فـآن الـتّـلاشـي لـلـكـواكـب والـبـدر
يتيمات عقد من يو اقيت سُـجعتْ بـتـيسّـــر ألـطـاف المـيسّـــر لـلـعسـر
يفوه بهـا قطـب العوالم من سـمـا عـلـى كـلّ عـلـيـاء وفي عـالـم الـذّرّ
هو القطب قد دارتْ عليه رحى السّـما والأرض مع العـرشـين في عـالـم السّـرّ
أتتْك عطـايـا لا أَبًـا لـك فـاغتنمْ أمّـا وشـــؤون الحـقّ والشّـــفـع والـوتـر
فـفـيهـا مـن الأنـوار مـا لـو حـويـتَـه لصـــرتَ من الأنـوار تـغـتـني عـن الـبـدر
وعـلـيـاء تُـمـطى مـن ذراهـا تـو ابـك تُـزجـيـك لـلـعـلـيـاء والـعـزّ والـنّـصـر
وعـلـم وأســـتـار إذا مـا لـبسـتـهـا نشـرت عليك السّـتر يا سـابغ السّـتر
وحـزب وأذكـار وســـرّ أكـنـة فـيـا أيّـهـا ذكـر و يـا أيّـمـا ســرّ
وأدمـنْ عـلـيـهـا إن أردت مـعـارفًـا فـأحـيـان أحـوال المـعـارف قـد تـجـري
بصـحـوٍ ومحوٍ مع حضـور وغيبـة و أنـس وذكـر في الـفـنـاء مـع الـفـكـر
« ورود النّعيم » في المعاني مع السّـما وكشـــف غـيـوب مـع كـروب ذي الـنّـكـر
فـأرّخْ تمـام الطّبْع يـا طـالـب العلى فـدونَـكَـهـا لاحـتْ بـوارق مـن ســرّ
ألا إنّ حـمـد الله في السّـــرّ والجـهـر عـلـيـنـا كـتـاب في المـو اقـيـت والـعـصـر

[1] المصدر السّابق: الديوان، صفحة: 656

فنحمده حمدًا يدوم دوامه ... على كلّ نعماء الأيادي التي تجري
حمدناه حمد الذّات للذّات قدمة ... بعد شؤون الجاريات مدى الدهر
وعد أياد جاريات منحتْها ... أياد جلّتْ عن مناهزة الحصر
عليها وتأليف الورود وشمله ... بعون و أفضال ويسر على يسر
على بركات الغوث وِتر الزمان من ... أقاصي أدانيه أقاصي ذوي الفخر
إليك ربّي صرفت مطالبي ... فكلّ ليال غير ذي ليلة القدر
فأطوى بعرفان الوجود مسافة ... وطاعة غير الفكر بالفكر والذّكر
وصلّ وسلّم ما منحتَ مواهبًا ... على الشفيع الموهوب والشّفع والوتر[1].

5- تقريظ كتاب تفسير له، الموسوم ب " **العُباب في تفسير الكتاب**"، فسّر فيه الشّيخ سعد أبيه- رضي اللّه عنه - آي القرآن الكريم تفسيريْن من أنماط التّفسير، وهما: التّفسير المأثور، والتّفسير الصّوفيّ، أي شرح الآيات على ظواهر الألفاظ الكفيلة، وشرحها أيضًا على بواطن المعاني الخزينة، ويقول هو في هذا التّفسير العجيب:

و أنشدتْ بلسان الحال قائلةً ... إنّ العباب لهو الشّمس في الكتْب
مصَنَّفٌ جمع العلوم وزبدتها ... حُقَّتْ كتابته بالدّرّ والذّهب
فالعلم ديدنه، والنّور معدنه ... والفُصح معونه، والضّوء كالشّهب[2].

ثانيًا: الوصيّة أو الإرشاد:

تكاثرت في ديوان الشّيخ سعد أبيه - رحمة الله تعالى عليه - قصائد التّوجيه والنّصيحة،

---

[1] المصدر السّابق: الديوان، صفحة: 128-129.

[2] ينظر: فيوضات الأقطاب في الصّلاة على خير الأحباب، تأليف القطب بن الشّيخ محمّد تقيّ اللّه، ص: 128، 129، المطبعة الوطنيّة بالجمهوريّة الإسلاميّة الموريتانية، ط: 1، س: 2020م.

ولا غرابة في ذلك ، فقد قال الرّسول - صلوات اللّه وسلامه عليه - :"" **الدّين النّصيحة**[1] "".
وتوجّهت نصائحه، فيما يبدو، نحو أبنائه خاصّة، ومريديه المقرّبين، إن كانت في الحقيقة تتوجّه نحو المسلمين جميعًا؛ لأنّ {**العبرة بعموم اللّفظ لا بخصوص السّبب**}، كما يقول الأصوليّون.

وهذه التّوجيهات كما سارتْ مسار التّخليّة عن المحذورات والمعايب، ذهبتْ أيضًا مذهب التّحليّة بالفضائل والشّيم الرفيعة، والخلق العظيم.

يقول الشّيخ سعد أبيه - رضي اللّه عنه -وهو يوصي الإخوان في اللّه وفي الإرادة بدوام الذّكر، وينوّه لهم آثار وانعكاسات الواردات الغادرة من بصمات الذكر في السّرّ والجهر، بقوله:

عليكم إخوتي بالذّكر في الدّيم ... فاللّه يذكركم بالجود والكرم
عليكم بدوام الذّكر إنّ له ... نورًا إذا حارت الأسرار في الظّلم
من لازم الذّكر لم تزلْ ينابعه ... تجري على قلبه بالعلم والحكم
ولم يزلْ من بحور القدس مشربه ... ولم يزلْ بكمال الأنس في النّعم
ولم يزلْ راقيًا لكلّ مرتية ... حتّى التّجلّي من القدّوس بالعدم
ولم يزلْ روحه في عالم الملكو ... تِ كالسّراج إذا اسْتَضَا على علم
ولم يزلْ جسمه في الملك ذا رتب ... ينور كالشّمس في السّماء لم ترم
تُمحى شقاوته ،تقوى سعادته ... تُكتبْ ولايته، في اللّوح والقلم
ففي البخاري معه مسلم رَوَيَا ... عن خير من بُعثوا في العرب والعجم[2].

ويقول الشّيخ سعد بوه - بيّض اللّه وجهه يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه - أيضًا في وصيّة مهمّة إلى إحدى حليلاته، وهي السيدة فاطمة الصّغرى:

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في كتاب الإيمان، رقم: 55، وأخرجه الإمام التّرمذي أيضا في كتاب العلل، رقم: 3016.

[2] المصدر السّابق: الديوان، صفحة: 277

فـاطمـة الصّـغرى وَقَـاكِ كلّ دا ... ربُّ السّـمـا ومـا يـؤدّي لـلـرّدى
دونـكِ يـا فـريـدة الـنّسـاء ... وصـيّـة لـيس بهـا مـن سـاء
لا تَضْـفَـري رأسـكِ والـرّجـالُ ... نـحـوك يـنـظـرون ذا وَبَـالُ
فـإنّـه حـمـاقـة شـنـيـعـهْ ... قـبّـحـهـا مـذاهـب الشّـريـعـهْ
والـفَـلْيُ إن كـان بمـرأى لـلـرّجـال ... أشـنـع من ضـفـر دَعِي تلـك الخِلال
من لم يكن أخـاكِ في الرّضـاعـهْ ... أو نسـب فـلا يـراك سـاعـهْ
والمحـرم السـفـيـه كـالشـبّـان ... فـإنّـه والأجـنـبـيّ سِـيّـان
والـفلي والضّـفر لـدى الرّوج دُعي ... إنّـهـمـا لـعـيـفـة كـالمـزرع
مـايـزرع الـعـيـفـة في الـقـلـب حـظر ... لأنّـهـا إلى الـفـراق قـد تَـجُـر
وجـاءنـا حـضّ عـلى الـتّـبـعّـل ... مـن الـكـتـاب والـحـديـث الأمـثـل
وهـو لـيـل عـقـلـهـا وضـدّه ... دلـيـل حـمـقـهـا فـلا نـعـدّه
فـلازمي سـيـرةَ خـيـرة الـنّسـا ... في عصـرهـا ذي أُمّ أنـقـان الإسـا
أكـرمـهـا الله وإيّـاكِ بـمـا ... كِـلَاكُـمـا تـحـبّـه وأنـعـمـا
بـجـاه خـيـر الـخـلـق صـلّى ربّي ... عـلـيـه مـا ازداد لَـكُـنَّ حُـبّي[1].

_ ثالثًا: المناظرة الشّعريّة

من المعروف في سائر الأغراض أن نجد طرفًا واحدًا يمثّل القول الشّعريّ، غير أن في المناظرة يظهر لنا طرفان، إمّا في بيت واحد أو في بيتين، أو في أبيات قصيدة، أو بين قصيدتين يمثّلان شاعران، ويجمع الطّرفين موضوع محدّد يتناولانه بالحوار أو بالاحتجاج.

[1] ديوان الشيخ سعد بوه ابن الشّيخ محمد فاضل بن مامين - تحقيق ودراسة وشرح الدكتور يحي ولد البراء، جمعية النّور السّاطع للتّراث والثّقافة، صفحة: 385-386

ولقد تناول الشّيخ سعد أبيه - رضي اللّه عنه - موضوع المناظرة الشّعرية؛ ولكن بأسلوب الحوار النّفسيّ أو بالاحتجاج النفسيّ، وسوف نضرب صفحًا عن بعض تلك الأمثلة:

1- الرّدّ على المحرّشين والمشوّشين بين الأماثل والأفاضل، وإفحام القائلين بأنّه بايع الشّيخ محمّد ماء العينين بعد وفاة والده وشيخه - رضي اللّه عنهم أجمعين وأرضاهم أكتع - يقول الشّيخ:

إنْ قال بعض الناس إنّني مريدْ ... الشّيخ ما العينين نبراس العبيدْ
فما أنا واللّهِ واللّهُ شهيدْ ... للشيخ ما العينين قطعًا بمريدْ
لكنّني أخٌ له رأيٌ سديدْ ... يحبُّ الاتّصال بالشّيخ الفريدْ
ولو فهمتُ منه غير ما أريدْ ... لمّا أتيتُه قريبًا أو بعيدْ[1].

وقال الشّاعر الصّوفي أيضًا في نفس القضيّة:

لَئِنْ قال بعضُ النّاس إنّي مبايعُ ... لشيخٍ له التّقديم في النّاس شائع
فهو لذا أهلٌ نعمْ، غير أنّني ... لوالدنا الشّيخ الكبير مبايعُ
فطوعًا تُراثِي في بنيه مقسَّم ... سَواسِوَةً كُلًّا وليس منازعُ
وقد كنتُ حلّاني المشيخةَ يافعًا ... وقد يُوهب التّقديم من هو يافعُ
فمن شاء فليؤمنْ ومن شاء فليكفر ... فلا خافضٌ ما اللّه في الكون رافعُ[2].

2- ردّه على مُنكري صحّة نسبه إلى الرّسول - صلوات اللّه وسلامه عليه - بقوله:

يا مُنكرًا نِسبتنا إلى الرّسولْ ... لِتَتَّئِدْ واصْغَ ولا تكنْ جهولْ
قد عارضتْ ذلك صِحّاح النّقولْ ... وأبطلتْ له قرائح العقولْ

---

[1] المصدر السّابق: الديوان، صفحة: 154

[2] المصدر السّابق: الديوان، صفحة: 233

فـإنّـنـا أبـنـاءُ فـاطـم الـبـتـولْ والـحـال شـــاهـد وهـو مـن الـعـدولْ
نـور الـنّـبـوّة عـلـيـنـا لايـزولْ تـوارثـتْ لـه فـحـولٌ عـن فـحـولْ[1].

وأردف أيضًا رادًّا على هؤلاء المنكرين الذين لا يفقهون قولًا، يفحم أدلّتهم الزّائفة، بقوله:

الـحـمـد لله الَّـذِي لِيَ وهـبْ عـلـمًـا وحـلـمًـا وتـقًـى كـذا نســبْ
جـعـلـني مـن نســل طـه أحـمـدا والأولـيـاء كـلّـهـم لِيَ شـــاهـدا[2].

3- مناظرته مع منكري الإجهار بالذّكر، وإفحامه بالأدلّة المقنعة، والحجج الدّامغة، والبراهين النّاصعة، بقوله:

يـا مُنكرًا جهرنـا بـالـذّكر إنّ لـه مـن الأدلّـة مـا يـغـني عـن الـجـدل
فاصْدَعْ بما تؤمرنْ واشدْ به عضدًا ودَعْ لمن وصــفوا بـالشّــرك والفشــل
قـالـوا لِيَ اذْكُرْ ولا تـجـهـر بـه أبـدًا فـقـلـتُ : مـهـلًا فـمـا لي عـنـه من بـدل
لـكـنّـمـا جـهـرُنـا بِـذِكـرنـا عِـطْرٌ والـعِـطـر يـقـتـلُ ريَّـاه أبـا جُـعـل
إن كـان ذَنْـبِي ذكـر الله في عـلـن فـذاك ذنـبٌ بـه أفـوز في الأزل[3].

وقال الشّاعر الصّوفيّ القادريّ - رضي الله عنه - في هذا المعنى المنشود أيضًا دحضًا لخصمه في الذكر العلني:

يـا مـن يـلـوم عـلـى ذكـرٍ أردّده جـهـرًا لأشــهـد ربًّـا واحـدًا صــمـدا
ألســتَ في ســالـف الأيّام تسـمع ما قـال النّزيف لمن في الخمر قـد جُلِـدا ؟

---

[1] المصدر السّابق: الديوان، صفحة: 250

[2] المصدر السّابق: الديوان، صفحة: 124.

[3] المصدر السّابق: الديوان، صفحة: 256.

أبا الوليد أمّا والله لو عملتْ فيك الشّمول لمّا حرّمتَها أبدا
ولا نسيتَ حُمَيّاها ولذّاتها ولا عدلتَ بها مالًا ولا ولدا[1].

والملاحظ في الأغراض الشِّعريّة التي تطرّق إليها الشّيخ، يجد أنه لم يَرَ غرض الهجاء في قصيدة من قصائده، ولا غرو فهو ابن الرّسول - صلوات الله وسلامه عليه - حقًّا وصدقًا، الذي ما عاب أحدًا في عمره قطّ، وقد لخّص الشّيخ الحاج مالك سي - رضي اللّه عنه - هذا التلويح بقوله:

من كلّ وصفٍ حميدٍ حاز أفعل تَفْ ضِيلٍ رجاء البرايا يوم مُزْدَحِم
والكفُّ ما ضربتْ أنثًى ولا ذكرًا ما خادِمًا عاب من عَيبٍ ولم يَلُمِ[2].

وقد هجا الشّيخَ أحدٌ ذات يوم في الشّعر؛ ولكن، من نضجة عقله لم يردّ عليه الهجاء، بل حمد الله وثنى عليه، ولام نفسه، ولنستمعْ جميعًا جواب الشّاعر الصّوفي إلى القاذف:

قد قال لي سِدَاتِ إنّ ابن الجمدْ أخبره أنّ الشّريف لا فندْ
بشِعره الجيّد قد هجاني جزاه ربّي أحسن الإحسان
لأنّني كنتُ أحبّ لي معينْ يذمّ نفسي قرينة اللّعينْ
لأنّ ذمّي لها لم ينتفعْ به ولا بما أقول ترتدعْ
يا ليتني وجدتُ ألف هاج مثل الشّريف النّيّر المنهاج
كلّهم يُظهر ما بها خفى لعلّها تأخذ نهج المصطفى
ويُخبرونها بأنّها تموت وأنّ ذا جميعه كُلًّا يفوت
لعلّها تترك للمعاصي وتطلب العفو مع الخلاص[3].

---

[1] ديوان الشّيخ سعد أبيه الإدريسيّ - مكتبة أبي سعد أبيه الحاج مالك جوب القادريّ، صفحة: 324، مخطوط بحوزة الباحث.

[2] خلاص الذّهب في سيرة خير العرب - الشيخ الحاج مالك سي، صفحة: 253، مخطوط بحوزة الباحث

[3] المصدر السّابق: الديوان، صفحة: 331

المبحث الثّالث:

ضخامة إنتاجاته الشّعريّة، رضي الله عنه

عند تسليط الأضواء على إبداعات الشّعراء ، فمن الممكن النّظر إلى إنتاجهم الشّعريّ من حيث الكمّ والكيف ، ويختلف الشّعراء في هاتين النّاحيتين اختلافًا بيّنًا ، فمنهم مقلّون ؛ ولكنّهم متفوّقون في الإجادة الفنّيّة ، ومنهم مكثرون متوسّطون في القيمة الفنّيّة... ونخبة قليلة من الشّعراء يجمعون بين وفرة الإنتاج الشّعريّ ، وتحقيق الجمال الفنّيّ في الأداء الشّعريّ[1].

ولاشكّ أنّ الشّيخ سعد أبيه القلقميّ - رضي الله عنه - من أفذاذ الطّبقة الثّالثة، حيث ترك لنا تراثًا شعريًّا ضخمًا، بل مئات وآلاف من القصائد الشعرية، والمنظومات التّعليميّة، التي عجزتْ العقول عن تعدادها للوفرة والكثرة.

وأمّا أنا شخصيًّا، قد وقعتْ عينيّ على ثلاثة دواوين متباينة بالغ التّيابن من حيث الكمّ والمقدار، وهي:

_ 1: عند حوزتي بالمكتبة السّعديّة، (**بِجَخَايْ - كَرْمَسَارْ- دَكَارْ**) ديوان واحد يبلغ عدد صفحاته إلى 450 صفحة ، وقد أخذته من الشيخ داود غَيْ - امبُورْ ، المحاضر الكبير في الخِيَمِ القادريّة بالسنغال ؛

_ 2: وعند الشّيخ الحضرامي ابن الشّيخ الوالد ابن الشّيخ أتقان ابن الشّيخ الشّيخ سعد أبيه، ديوان آخر يختلف تمامًا بما عندي، من حيث حجم الخطّ، ويبلغ ذاك الديوان إلى 550 صفحة، إن لم تخطىء ذاكرتي؛

---

[1] ينظر: البعد الفنّيّ في شعر المديح النّبويّ للشّيخ أحمد بمب امبَاكّي ، تأليف الدكتور عبد الأحد لوح ، مطبعة المعارف الجديدة - الرباط ، صفحة: 49

_ 3: وأمّا ديوان الثّالث فهو الدّيوان المطبوع المحقَّق، من طرف جمعية النّور السّاطع للتّراث والثّقافة، لصاحبه الشّيخ الفتح ابن الشّيخ الحسنّ ابن الشّيخ محمّد فاضل، وقد كلّف الدّكتور يحيى ولد البراء بعناية الدّيوان من بين شرح وتحقيق ودراسة، فهو حقًّا، والحقّ يقال: إنّه عمل جبّار، وجهد جهيد، ومضنيّ لا يقدّر بشيء مهما علا وغلا، وذاك الشّيء فيه كلّ شيء.

وقد حازت جمعيّة النّور السّاطع للتّراث والثّقافة، فضل التّقدّم لهذا العمل الرّائع بكلّ المقاييس، وقد فازت به قصب السّبق؛ لأنّ الفضل للمتقدّم.

ويقول محقّق الديوان الدّكتور يحيى ولد البراء في مستهلّ المدخل ، يقدّم لنا العمل التّطبيقي، وكيفيّة المنهج المتّبع في تحقيق الدّيوان العظيم ، ويقول : «« فقد أعددنا شكل تنظيمه بصورة ، تعطيه مرأى منعطفًا وجيهًا ، فقسّمناه إلى مجموعتين مَايَزْنَا بينهما بحسب صياغتهما الشّكليّة ، فأفرد النّصوص الشعريّة ذات الرّويّ والقافيّة ، وعددها 180 نصًّا في جزءٍ مستقلّ وهو الأوّل ؛ ورتّبناها بحسب التّرتيب الألفبائي ، وجعلنا النّصوص التي هي على شكل أراجيز عددها 203 نصًّا في بابٍ ثانٍ ، ورتّبناها بحسب الأغراض الشِّعريّة.

ونصوص هذا الجزء الأخير تمتاز في الغالب، فلا نكاد نجدُ فيها قطعةً فأقلّ إلّا نادراً.

ومن قصائدها الطّوال: القصيدة رقم: 345 في التّوسل بالمصطفى - صلّى الله عليه و سلّم - وبعض أصحابه - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وأرضاهم أكتعين - وببعض حروف المعجم ، وعدد أبياتها: 204 بيتًا، وتليها في الطّول القصيدة رقم: 237 التي يوصي بها مريده الشّيخ التّراد ابن الشّيخ العبّاس[1].

---

[1] قد ذكر الشّارح أنّ هذه الوصيّة وجّهها الشّيخ سعد أبيه إلى مريده الشّيخ التّراد ولد العبّاس؛ ولعلّ قد وَهِمَ بين التُّرادين، بل وجّهها إلى مريده الشّيخ التّراد ابن الشيخ الحضرامي ابن الشّيخ محمد فاضل بن مامين ، عندما أرسل هذا الأخير إلى الشّيخ سعد أبيه رسالةً ، فَضَلَّتِ الرسالة في الطريق ، ولم تصل إلى الشّيخ. وبعد ذلك، أجاب عنه الشّيخ سعد أبيه بدون أن يطّلع على الرّسالة، والرّسالة التي أرسل إليه الشّيخ سعد أبيه طويلة جدًّا للغاية، وقد رفّقها نصّ نثريّ في أوّل الرّسالة قبل المنظومة للوصيّة والتّوجيه.

انظر: تحقيق رسائل شيخنا الشيخ سعد أبيه الإدريسيّ - إعداد الباحث الشّيخ الدّاه ابن الشّيخ سعد بوه ابن الشّيخ أتقان ابن شيخنا الشيخ سعد أبيه القلقميّ الإدريسيّ الهاشميّ.

ويُوجّهه ، وعدد أبياتها: 131 ، ثمّ القصيدة رقم: 259 ، وفيها يتوسّل بأسماء الله تعالى وبالأنبياء والصّحابة - رضي اللّه عنهم أجمعين - وحروف القرآن الكريم ، وعدد أبياتها: 127 ، ثمّ القصيدة ، رقم: 172 ، في التّوسل ، وعدد أبياتها: 126 بيتًا ، ثم القصيدة ، رقم: 249 ، في التّوسل ، وسمّاها ب "" **وسيلة المقاصد** "" ، وعدد أبياتها: 118 ، ثم القصيدة ، رقم : 348 ، في الدعاء ، وعدد أبياتها: 98 بيتًا ، ثم القصيدة ، رقم: 252 في المديح ، وعدد أبياتها: 96 بيتًا ، ثم القصيدة ، رقم: 208 ، في التّصوّف الإسلاميّ سمّاها ب "" سلّم السّلامة للنجاة من عرصات يوم القيامة "" ، وعدد أبياتها: 91 بيتًا ، ثم القصيدة ، رقم: 349 في الدعاء ، وعدد أبياتها: 74 بيتًا[1].

يقول العارف باللّه تعالى الشّيخ سعد أبيه القلقميّ - رضي اللّه عنه - ما نصّه:

أمّا والّذي لا يعلمُ الغيبَ غيرُه ... وليس له ضِدٌّ يكونُ ولا كُفْؤُ

لئِنْ قال أهلُ « الْكِبْلَ » إنّي ساحرٌ ... وأنْ ليس لي علمٌ مصونٌ ولا رَدْءُ

فقدْ علمَ الرّحمن أَنّيَ حامدٌ ... لِمَا خَصَّني عنهم وليس له جَزْءُ

و أنّي قَفَوتُ المصطفى في ادِّعَائِهم ... فَحَسْبِي به أُسًا وحسبي به الضَّنْؤُ

فَفُزْتُ بِمِيراثِ النَّبِيّ عِنايةً ... وَبَاءُوا بإرثِ البَغْيِ لا حَبَّذَا البِدْءُ

فَكُلُّ نَبيٍّ أو وَلِيٍّ بِذَا رُمِي ... فما زَادَهم إلّا اصْطِفَاهُم البَذْءُ

وقدْ بَرَّ الرَّحمنُ أَهْلَ وِدَادِهِ ... كما خَصَّنَا منْه الكَرَامَاتُ والْكَسْؤُ[2].

---

[1] ديوان الشّيخ سعد بوه ابن الشّيخ محمّد فاضل بن مامين - تحقيق ودراسة وشرح الدكتور يحيى ولد البراء، جمعية النّور السّاطع للتّراث والثّقافة، صفحة: 72.

[2] المرجع السّابق، الدّيوان، ولد البرّاء، ص:104-105-106، النّاشر جمعيّة النّور السّاطع للتّراث والثّقافة.

الفصل الثّالث:

جماليّات الرّمز والإيحاء في الأدب القادريّ الفاضليّ

«شعر الشّيخ سعد أبيه - رضي اللّه عنه - أنموذجًا »

المبحث الأوّل:

مفاد الرّمز والإيحاء بين المعاجم اللّغويّة، والمصطلحات الصّوفيّة

ليس الرّمز بالشّيء الجديد في نتاج الشّعور الإنسانيّ، ولو رجعنا إلى الورى نتتبّع مصدر الرّمز، لوجدناه بعيدًا في أغوار الشّعور الإنسانيّ منذ القِدم، فقد سجّل الإنسان القديم في أجواف الماضي بالنّقش على الحجر، والحفر على جدران المعاوز، فجاءت رموزًا تومىء ولا تفصح الإفصاح كلّه عن أصداء النّفس ولواعجها.

والرّمز: هو الصّلة بين الذّات والأشياء، بحيث تتولّد المشاعر عن طريق الإثارة النّفسيّة، لا عن طريق التّسميّة والتّصريح، ولقد استقرّ الرّمز في الأدب منذ عام 1880م، وقد ترك آثارًا عميقة في الشّعر حتّى اليوم.

ومن معاني الرّمز: " الإيحاء" أي التّعبير غير المباشر عن النّواحي النّفسيّة المستترة التي لا تقوى على أدائها اللّغة في دلالتها النّظميّة.

ومن الوسائل الفنّيّة المستخدمة في الرّمز: الإفادة من " تراسل الحواس"، فتعطي المسموعات ألوانًا، وتصير المشمومات أنغامًا، وتصبح المرئيّات عاطرة.

ويلجأ المبدعون الرّمزيّون إلى نقل صور العالم الخارجيّ من مواطنها المعهودة، في شبه تراسل فكريّ؛ ليوحوا بمشاعر غريبة تبيّن عنها دلالات اللّغة. ويولع الرّمزيّون في تقريب الصّفات المتباعدة. وهم أوّل من دعا - عند العرب - إلى تحرير الشّعر من الأوزان التّقليديّة. ويلعب عالم العقائد والغيب {**العالم الصّوفيّ**} دورًا كبيرًا في الصّور الرّمزيّة ، وفيها يختلط الشّعور باللّاشعور[1].

---

[1] ينظر: مرجع الطّلّاب في النّقد التّطبيقيّ - الدّكتور عماد عليّ سليم الخطيب، صفحة: 27-28، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

فإنّ الصّوفيّة رأتْ في الكتابة الشِّعريّة الوسيلة الأولى للإفصاح عن أسرارها، وتقديمها في إطار شعريّ، لاسيّما للتّعبير عن حبّها لله تعالى. فسلوك طريق الحبّ عند الصّوفيّ مجاهدة منضيّة تمتزج فيها الذكرى بالحلم ، وتختلط فيها لحظة سكر بانفعال حبّ أو تجلّ أو تمنّ ، وتسبق حالة السّكر مرحلة الغيبة ، وهي حالة بين الحبّ والفناء والسّكر لأهل المواجيد ، فإذا كُوشِف العبد بنعوت الجمال حصل له السّكر ، وطرح الرّوح وهيّام القلب[1].

وهكذا ترك لنا الصّوفيّة تراثًا في الغزل الصّوفيّ ينمّ عن تجربة كاملة بالحبّ تتجلّى فيها رقّة الشّعور.

فترى شاعرنا الصّوفي الشّيخ سعد أبيه القلقميّ - رضي الله عنه - يتغزّل بجمال الحبّ الإلهي، والشّوق إلى لقائه على أبهج الحلى، وهنا يتغازل الحبّ المحض، كأنّه يتغزّل غانيّة مجدولة، يقول ما الذي فحواه:

ألا إنّما قلبي به الشّوق والحبُّ ... ألمّتْ به الأمراضُ ليس لها طِبُّ

وما هي من دعد وما هي ليلى ... بلى هي من ربّي فيا حبّذا الرّبُّ

إلهي له العليا كمالًا ورفعةً ... تعالى عن الإدراك بعدُ له القرب

فيا ربّ يا رحمان اشْفِ قلوبنا ... فليس لمن مرّضت روح ولا قلبُ

وعافِ من الأمراض قلبي وقالبي ... بجاه رسول كان ديدنُهُ الحبُّ

عليه صلاة الله والآل كلّهم ... وصحب رسول الله يا حبّذا الصّحبُ[2].

وفي صريح هذه الأبيات يعرض الشّاعر من جانب آخر، أنّ سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - كان مثابر الحبّ، وهيّام قلبه مشغّف بربّه - سبحانه وتعالى - المحتد الحقيقيّ للحبّ.

---

[1] جماليّات الرّمز في الشّعر الصّوفي " محيي الدّين ابن عربي أنموذجًا" - إعداد الباحثة/ هدى فاطمة الزهراء، صفحة: 70، بحث ماجيستسر ، مرقون بحوزة الباحث.

[2] المصدر السّابق: الديوان، صفحة: 116، ولد البراء.

وله أيضًا الغيبوبة العظمى في فناء روحه عند عالم المشاهدة، وذلك دأبه إلّا الحينيّات الشّاذة، يقول في حيثيّات هذا النّمط من الرّمز الصّوفي اللّطيف:

لعَمري ما خُضنا غيوبًا عجيبة قُبيْل فناء النّفس عن عالم الحجب

ولم نشهد الأسرار من قبل سبحنا على فلك التّسليم في عيْلم الحبّ[1].

ويقول شاعرنا الصّوفي الرّبّانيّ - رضي اللّه عنه - أيضًا في السّرّ:

خِطابٌ يُنادي سرّ من غاب سرّه به طافَتْ الأسرار من كلّ جانب

وسرّ غيوب السّرّ ضاءتْ بسرّه وكان مقام السّرّ أعلى المراتب[2].

ويقول الشّيخ الرّوحيّ، والموسوعيّ الصّوفي، العارف باللّه تعالى، والخبير بدقائق الذّوق الإلهي أيضًا:

على القلب قد يجري من الحزن ما يجري ويجري من الأشواق فوق الّذي يجري

فلا هو من شوق عن الخوف يحجب ولا هو من خوف عن الشّوق في ستر[3].

ويقول الشّيخ سعد أبيه - أكمل اللّه تعالى له كلّ ما يرتجيه - في حجّ روحه إلى بيت اللّه الحرام كلّ ليلة:

أطوفُ ببيت اللّه والنّاس نُوَّمُ كما طاف بعضُ القوم في السِّرّ والجهر

وذاك قُبيْل اليومَ واليومَ ربّما أتانيَ بيتُ اللّه في موضع يجري

---

[1] المصدر السّابق: الديوان، صفحة: 118، ولد البراء.

[2] المصدر السّابق: الديوان، صفحة: 123، ولد البراء

[3] المصدر السّابق: الديوان، صفحة: 208، ولد البراء.

ولمّا قال الشّيخ هذين البيتين أنكره كثير من الفقهاء؛ لعدم رسوخ قلوبهم في بقاء عالم المشاهدة بعد فناء أرواحهم، وعدم قطع عوائقهم عن هذه الفانيّة، اللّهمّ إلّا من شرح الله تعالى بصيرته وسرّه.

وعلى غرار هذين البيتين جاء مريد الشّيخ ببيتين آخرين أوغر في المعنى الظّاهر عن بيتيْ شيخه، وهو الشّيخ التّراد ولد الشّيخ العبّاس ولد الحضرامي ولد الشّيخ محمّد فاضل بن مامين القلقمي- رضوان الله تعالى عليهم أجمعين - بقوله:

أحطْتُ بعرش الله والكون مشهدا وشاهدتُ ما قد كان من ذاك أبعدا

وإيّاك لا تُنكرْ مقالة صادقٍ تبدّتْ له الأشياء كما تجرّدا[1].

وبعد سماع الشّيخ التّراد تلفيق الإشاعات المزيّفة، نحو هذين البيتين، سَلَّ مرهفاتُ قُطّع إلى نحور المنكرين الّذين لا يفقهون؛ لشرح هذين البيتين عن طريق المباشر، وعن بيتيْ شيخه الآنفتيْ الذّكر عن طريق غير المباشر، مكلّلًا حواشيه بالدّليلين:" الكتاب، والسّنّة"، ثمّ البراهين الدّامغة، لذوي الأسرار والاستبصار، لا ذوي الإنكار والاستهجار. وجاء مدار موسوم هذا الصّارم البتّار على عنق أهل العار، بعنوان ««إزالة **الرّين عن معنى البيتين**»». ويقول الدّكتور يحيى ولد البراء عند طُرّة تحقيق ديوان الشّيخ سعد أبيه ، أنّه سمع عن الشّيخ ابّاه بن عبد الله بن ابّاه ، أنّ الشّيخ محمّدو بن حبيب الرّحمن ، لمّا سمع بيتيْ الشّيخ سعد بوه هذين ، قال: {{والله ما قال كذبًا ، فالبيتُ يمرّ على كلّ ليلة مغربًا "" **يَتَقَعْقَعُ** "" ذاهبًا إليه[2]}}.

ويقول الشّيخ سعد أبيه - رضي الله عنه - في رمزيّات الصّوفيّة بالحروف الأبجديّة، ذات الدّلالات العرفانيّة، في الزُّربيّة الإلاهيّة، وفي الحضرة المحمّديّة، بقوله:

---

[1] ينظر: كتاب إزالة الرّين عن معنى البيتين - تأليف العلامة الشّيخ التّراد ولد الشّيخ العبّاس الفاضليّ، صفحة: 15، مخطوط بحوزة الباحث

[2] انظر: ديوان الشّيخ سعد بوه ابن الشّيخ محمد فاضل بن مامين - تحقيق ودراسة وشرح الدكتور يحيى ولد البراء، صفحة: 208، منشورات جمعية النّور السّاطع للتّراث والثّقافة.

بِـمِـيـمٍ وحَـاءٍ ومِـيـمٍ ودَالْ سـألـتُ كريمًـا يُجيـب السّـؤال
وَطَـاءٍ وَهَـاءٍ وَيَـاءٍ وَسِـيـنْ سـألـتُ كريمًـا عزيز الجمـالْ
وَصَـادٍ وَقَـافٍ وَحَـاءٍ وَجِيمْ سـألتُ لِصِـيتٍ كالشّـمس الزّوالْ
وَجِـيـمٍ وَبَـاءٍ وَرَاءٍ وَيَـاءٍ وَلَامٍ سـألـتُ قـديم الكمـالْ[1].

[1] المصدر السّابق: الدّيوان، صفحة: 248-249، ولد البراء

المبحث الثّاني:

رمز الخمر والسّكر والثّمل في الحضرة السّعديّة الفاضليّة القادريّة بغرب إفريقيا الغربيّة جنوب الصّحراء

لقد كانت الرّمزيّة الخمريّة أو السّكريّة عند الصّوفيّين غيبة صادقة، فقد عبّر الصّوفيّة عن شوق الرّوح إلى معرفة اللّه تعالى، ومحبّته له بعبارات تكاد تكون عبارات المتغزّلين من شعراء الغزل والنّسيب، بل أنّ هذا التّشابه ليشتدّ أحيانًا، فتوهّم أنّ قصيدة الصّوفيّة هي قصيدة خمريّة أو غزليّة، شأن قصائد شعراء الخمر والغزل.

والصّوفيّة متفاوتون في الوصول إلى تذوّق الخمرة الإلاهيّة ، فمنهم المريد المبتدىء ، ومنهم الواصل المنقطع الذي لا يدرك الحقيقية إلّا قليلاً ، وفي فترات منقطعة ، ومنهم العارفون باللّه الذين ألهمهم اللّه تعالى الحقيقة ، وقد ذكر الإمام القشيريّ ، هذا التّفاوت فقال: {{ الذّوق ، ثمّ الشّرب ، ثم الرّيّ ، فضاء معاملاتهم يوجب لهم ذوق المعاني ، ووفاء منازلاتهم يوجب لهم الشّرب ، ودوام مواصلاتهم يقتضي لهم الرّيّ [1]}}.

وكان الشّيخ سعد أبيه القلقميّ - رحمة اللّه تعالى عليه - يمزح مع مواريده، ويحدّثهم في شتّى المعارف الرّبّانيّة، والنّبوية والإنسانية، ويرشدهم إلى كلّ خير دنيويّ وأخرويّ. وكان يفضّل توزيع الشَّايِ من كؤوس الخمر المترعة في حضرته، وتشربه القاطبةُ بدون الاستثناء، وفي كثير من الأحايين تتخلّل المدامة رفع الأصوات علنًا، بالذّكر لربّ الملكوت، والنّاسوت، والهاهوت، واللّاهوت، والجبروت.

---

[1] جماليّات الرّمز في الشّعر العربيّ " محي الدّين ابن عربي أنموذجًا" - الطّالبة/ هدى فاطمة الزهراء، صفحة: 78، مرقون بحوزة الباحث

وقد رمز شاعرنا الصّوفي هذه الحينيّة الخمريّة، بقوله:

بالذّكر أَهْدِرْ على الْأَتَايَ منبسطا وُسعًا، ومنقبضًا، سرًّا ، ومغتبطا

واجعلْ له الحمد نَعْنَاعًا يُطيبه وكُنْ بذكر الإله الدّهرَ مرتبطا[1].

وكان تلاميذ شيخنا الشّيخ سعد أبيه - رضي اللّه عنه - يلتحفون بيته ليل نهار ، ولا يبرحون عنه إلّا بإذنه: {{ قد يعلم اللّه الّذين يتسلّلون منهم لواذًا فليحذر الّذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم[2]}}.

ويصف أحدُ مريديه هذا المشهد الجليل، وهو الشّيخ محمّذن بن محمد الأمين - رضي اللّه عنه - بقوله:

ترى المريدين صُمًّا حول منزله من سكرة الحبّ فوجًا حول أفواج

إنْ هاج بالذّكر تهتاج الصّحاب له للّه ما هاج شحّاج لمهتاج

يسقي المريد حميًّا من معارفه ما ذاقها قط إلّا الفائز النّاجي[3].

وكذلك وصفه أيضًا تلميذه الأبرّ الشّيخ البشير ولد امباريكي - رضي اللّه عنه-، إذْ يقول حال الشّاعر الصّوفي مع الفلّانيّين:

فوا عجبًا فُلَّانُ طاشتْ عقولهم لِشِيمِ بُروق من هواك لوامع

أتوك حَيارى مُهطعين من الظّما لهم زَفراتٌ تلتظي ومدامع[4].

---

[1] ديوان المترجم له - ولد البراء، صفحة: 125، منشورات جمعية النّور السّاطع للتّراث والثّقافة

[2] سورة النّور، الآية: 63

[3] ديوان الشيخ سعد أبيه - مكتبة أبي سعد أبيه الحاج مالك جوب القادريّ، صفحة: 107، مخطوط بحوزة الباحث

[4] ديوان المترجم له - مكتبة أبي سعد أبيه الحاج مالك جوب القادريّ، صفحة: 454، مخطوط بحوزة الباحث.

ويقول الشّيخ گلّاهْ - رضي اللّه عنه - يمدح شيخه الشّيخ سعد أبيه، ويستهلّ منه كأس الخمر الصّافي:

فَسَعْدُ أبيه للضّعفا ربيع وكان على المُعاند ليث غاب
و أنت غِذاؤهم جسمًا وروحًا وهل عن فضل ربّهم من آب ؟
أَنِلْنِي شُربةً من قَابِ قَوسٍ لأرغبَ بعد ذلك في الشّراب
وأزهدَ في الشّراب وكلّ عيش و أَقْفُ الدّهرَ آثار السّحاب
و أقف الصّالحين لكي أُنَجَّى وأُسْقَى من كؤوسهم الرّحاب[1].

وعندما قال صاحب ديوان نيل المراد للشّيخ التّراد ، دفين عاصمة السّنغال - دكار ، داعيًا القوم جفلى لا نقرى لاستشراب الخمر الرّوحيّ في عرصات الحضرة السّعديّة الفاضليّة القادريّة ، بقوله الشّهير:

تعالوا إلى كأس سقاني بها سَعْدُ وليس لها سَاقٍ قُبيل ولا بعدُ
هي الأمن من كلّ المكاره والبلا إذا ما وعيدُ اللّه أُنْجِزَ والوعد[2].

وأردف أحد المواريد المتواجدين حول الحضرة السّعديّة الفاضليّة، حين قال الشّيخ التّراد هذا القول، مسترعًا كأسه الرّوحيّ بوجد وشوق مفرطيْن ، فقال:

رَكِبْنَا سُفون الشّوق والحقّ قد يبدو وخُضْنَا بها بحرًا به القُرب والودُّ
وطارتْ بنا الأرواح إذْ قال ذا القطب: [تعالوا إلى كأس سقاني بها سَعْدُ[3]]

---

[1] ديوان المترجم له - صفحة: 702، ت: د. ولد البراء.

[2] ديوان نيل المراد - للشّيخ التّراد ولد الشّيخ العبّاس ولد الشّيخ الحضرامي ولد الشّيخ محمّد فاضل بن مامين القلقمي ، صفحة: 124.

[3] أخذتُ هذه القطعة من المجتهد الفاضليّ محمّد فاضل ابن الشّيخ عبد العزيز ابن الشّيخ الطّالب بوبكر ابن الشّيخ سعد أبيه القلقميّ الإدريسيّ الهاشميّ - اتياس – السّنغال.

وجزى الله تعالى الشّاعر الصّوفي الشّيخ سعد أبيه - أكمل الله تعالى له كلّ ما يرتجيه - خير الجزاء، وجزل العطاء، وهطر الهباء على ما تفضل به إليهم وإلينا من المنح الرّوحيّة لخدمة الإسلام والأقوام، ثمّ جزاه عن كلّ قطرة من قطرات كؤوس الخمر المترعة، التي سقاها بها هؤلاء الرّجال الكمّل ، والعظام العمّل ، مصداقًا لقول مريده الشّيخ التّراد ولد الشّيخ العبّاس الفاضليّ الحسنيّ:

جزى اللهُ بالإحسان سَعْدًا فإنّه سقانا كؤوسًا لا يَمَلُّ شرابها

جزى اللهُ بالإحسان من كان ساقيًا لأرواحنا حتّى أُبِينَ حِجابُها[1].

[1] ينظر كتاب التّجليات النُّورَانِيَّةُ في السِّيرة السّعديّة - تأليف الباحث أبي سعد أبيه الحاج مالك جوب القادريّ، صفحة: 118، دار منشورات تمبوكتو للنّشر والتّوزيع، دكار- القاهرة، ط:1، س: 2024م.

المبحث الثّالث:

نمُوذجٌ حَيٌّ من شعر العارف بالله تعالى الشّيخ سيدي سعد أبيه القلقميّ - رضي الله عنه - بين الفناء بالرّوح، والبقاء بالذّات

ولعلّ أعمق وأغدق ما أوحى به شاعرنا الصّوفي، الشّيخ سعد أبيه القلقميّ الإدريسيّ الهاشميّ - أكمل الله تعالى له كلّ ما يرتجيه - عبقريّ أهل زمانه في علم الأحوال الصّوفيّة، وسبح عباب الأذواق العرفانيّة، والأمواج النُّورَانِيَّةُ، منظومته اليتيمة العقد في علم المشاهدة، والانزياح في الزُّربيّة القدسيّة بين الفناء والبقاء، وبعدهما فناء الفناء، وبعده بقاء البقاء، وبعده الاسترخاء في قاب قوسين أو أدنى، وهي الموسومة ب "" **منبع الارتجال والغوص في مشاهد الرّجال** "" .

يقول العارف بالله تعالى حقًّا وصدقًا، شاعرنا الصّوفي الشّيخ سعد أبيه القلقميّ الإدريسيّ الهاشميّ:

يقول سعد المنتمي للفاضل ... محمّد الفاضل حلي العاطل
القلقمي نسبًا وقد نشا ... في الحوض ثمّ عنه قد مشى
الحمد لله الَّذِي قد عرضا ... عليه ما ندب أو ما فرضا
وما به عُصِيَ وما به أُطيع ... فَيَعْفُ للعاصي ويجزي للمطيع
لورحم العاصي وعذب المطيع ... أو رحم الكلّ وعاقب الجميع
لكان ما فعل من ذا مُمكنا ... وكان فعله جميلًا حسنا
ليس عليه في الجميع حقّ ... بل هو للثّناء. مستحقّ
سبحانه سبحانه ما أجملا ... تصريفه جميعه وأكملا
ثمّ صلاته على الإمام ... نور الهدى وصاحب التّمام

محمد وآله والصّحب بجاههم فرّجْ إلاهي كربي
هذا وإنّي قد أردتُ نظما بقدر ما يكون لي جمّا
سمّيتُه منبع الارتجال والغوص في مشاهد الرّجال
في رجز يحوي المشاهد التي منها الجبال الرّاسيات دكّت
وزالت الأشباح أيضًا والحسوس وزهق الأرواح أيضًا والنّفوس
أوّلها الفنا عن الأفعال في مشهد الجلال والجمال
ثمّ الرّجوع بعد الفناء في ملكوت الأرض والسّماء
ثمّ يغيب في الذي قد انتسب من مشهد الجلال صار في العجب
فساعة يكون كالمجنون وتارة يقوى على السّكون
وتارة يخاطب الرّوحانيّهْ من ملكوت في السّماء عاليّهْ
يا لَيْتَها تُحجب بالحجاب عن الذي يبدو من الخطاب
بأنّ لها الرّبّ إليه قد جذب وذاك للصّواب قطعًا انتسب
في قلبه تقسّمت أنوار في سرّه قد بطنت أسرار
في جهله التّوفيق في الأعمال في علمه الصّدق لدى المقال
وربّما قد خالف الشّريعهْ لعدم الثّبوت في الطّبيعهْ
فإن رأيتُه فَعُذْ بالرّبّ وَمِلْ لما فيه صلاح القلب
وربّما تَطَلْسَمَتْ غيوب في قلبه إذْ زالت العيوب
فها هنا يصير غيبًا طلسما في طلسمٍ وصار شخصًا أعجما
لو نزل الذي به قد نزلا على السّما ذابتْ وكانت أسفلا
ثمّ يردْ عليه من تجلّي تجلّيات القرب والتّدلّي
شيء مخامر لعقله ولو شاهده أهل الحياة لَفَنَوْا

في مشـــهـد الجلال ذاق ورقـا ... إن يَـكُ الاســـتـغـراق فـيـه غـرقـا
تكنْ لـه ســكـينـة في الـقـلـب ... وهـيـبـة ودهشـــة بـالـرّعـب
في ســرّ ســرّه خطاب مضـمـر ... ولـيـس لـلـخـطـاب مـن يُـعـبّـر
لأنّـه مـا كـان في المـحـلّ ... كـمـثـل مـا يـبـدو مـن الـتّـجـلّي
لـيـس لـه مـكان عـن مـكـان ... مـمـيّـز بـالـعـقـل والـعـيّـان
فـحـالـه الـثّـبـوت في الأحـوال ... وإن يـكـن في مشـــهـد الجـمـال
مـمّـا أراد ربُـه وقـدّرا ... يَـلْـتَـذُّ بـالّـذي عـلـيـه قـد جـرى
وعـقـلـه مـن الـتّـجلّي طـائـش ... في بســطـة لـدى الحـيـاة عـائـش
مـع كـونـه في لَـذَّةٍ عـظـيـمـهْ ... وهـيـبـة في قـلـبـه عـمـيـمـهْ
يكســي من الحيـاء والحيـاءُ ... ســـريـرة ووصـــفـه الـخـواء
تـمـيـيـزه مـن دونـه قســـاوهْ ... في بســـطـة تـكـنْ لـه حـلاوهْ
لكنّـه في حضـرة القـدسـيّـهْ ... مـمـيّـز بـجـذبـة سِـــرِّيّـهْ
في عـالـم الملـك دوامًـا ينـظـر ... وعـالـم الـغـيـب لـديـه يـظـهـر
لـيـس لـه في الـكـلّ طُـرًّا أرب ... وحـالـه في لـذّة قـد يـغـلـب
في السّـرّباطن وفي الصّـمدانيهْ ... بـطـونـه بـواردات خـافـيـهْ
لا يعلم الخير ولا يدري الشّـرور ... لغيبة الإحســاس عنه والشّـعور
وإن تـــذكّـــر بـــأنّ الله ... يـرى لـه بـنـعـمـة أجـراهـا
فـيـمـتـلي بـاطـنـه ســـرورا ... ومـيّـز الـخـيـرات والشّـــرورا
ثمّ يكون في الحضـــور غـائبـا ... وفي حضـــوره حـزيـنًـا هـاربـا
وحضـرة القـدس إليهـا ثـائـب ... وحـائـر في الـكـون ذا وغـائـب
وفي حضـــوره لـه لـدى الغيوبْ ... وفي غـيـوبـه طـبـيـبٌ لـلـقـلـوبْ

يخفي عن النّاس ظهوره الظّهور ... له خفاء في الذي فيه يحور
تمييزه بكونه مميّزا ... بأنّه الفعل إلى ربّ عزّا
ليست له النّسبة في الأفعال ... لكونه يلتذّ في الأحوال
تقسّمت في سرّه حقيقةْ ... واجتمعتْ حقيقية دقيقةْ
من نور ما يبدو من الأنوار ... وسرّ ما يخفي من الأسرار
في غوصه غاب عن المشاهد ... وغوص ما عظم من ممجّد
ويضع النّعل و أيضًا يستريحْ ... من رؤية الخلق لأنّه نجيحْ
ومع ذاك في الشّريعة رسا ... لأنّه ليس له قلب قسا
وإن فَنِيَ عن الجلال والجمال ... صار فناؤه لمشهد الكمال
فناؤه هو الفناء والبقا ... بقاؤه يأتيه هذا نسقا
وصارتِ الأكوان في يديه ... كأنّها في قصعة لديه
لأنّه بين بقاء وفنا ... لكنّه ليس بشيء سكنا
سوى الذي بغيبه مخبور ... وقلبه لحبّه مجبور
وإن فَنِيَ عن الفناء والبقا ... عين الفناء في فناءٍ مرتقى
ثمّ له الفناء عن المشاهد ... وكم لذا من جاهل وحاسد
عليه قد تجلّت الأسماء ... لسرّها في سرّه خفاء
تبدو له رقية ويشغل ... في سرّها لحاله سرّ جعل
ثمّ له تجلّيات الذّات ... من بعد ما ذَكَرْتُ من أبياتي
يخرّ ساجدًا له وراكعا ... وكلّ ذا بقلبه له وعى
وحاله بالعزّ قد تجلّى ... من ربّه في خمرة تدلّى
وغائبٌ في الذّات عن سواها ... وواجد لها ولا يراها

وكلّ ما من مشـــهد قبلُ ســـبق ... لـيـس بـغـيـبٍ كلّـهـا قـد اعـتـلـق

لـه عـلـومٌ في الـغـيـوب واردات ... كـذاك أســـرار لـديـه بـاقـيـات

لجـهـلـه الـغـيـب وربّـمـا جـهـل ... لـنـفـســـه لـعـظـم مـا بـه نـزل

يـخـفـي لـنـفـســـه ولا يـراهـا ... ســـوى الذي في البطن قد ســـوّاها

ثمّ يكون كلّ ما في البـاطنـهْ ... وللشّـــريـعـة دوامًـا صـــائـنـهْ

قد تمّ كلّ مقصـــد قدْ قصـــدهْ ... وحـاز كـلّ مشـــهـد وشـــاهـدهْ

وتـمّ مـا أردتُ نـظـمـه ولـمْ ... يتمْ حمـديَّ لـذي الفضـــل الأجمْ

حـمـدًا لمـن أتـمَّ كـلّ مـقصـــد ... شـــكـرًا لـه أوقـفـني في المشـــهـد

مصـــلّيًـا مســـلّمًـا طول الأبـد ... عـلـى مـحـمّـد ذؤابـة مـعـد

أبـيـاتـه « فَـجٌّ » وحـين لِيَ تَـمْ ... بِ «انـدَرَّ» حـمـدتُ ربّيَ الحـكـمْ[1].

[1] ينظر: منظومة منبع الارتجال والغوص في مشاهد الرّجال في علم الأحوال الصّوفيّة والمشاهد الألوهيّة - تأليف الكبريت الأحمر، بحر الشّريعة والحقيقة، فضيلة المفتي الصّوفي، أبي عبد العزيز الشّيخ سعد أبيه - رضوان الله الخالد عنه - القلقميّ الإدريسيّ الهاشميّ، صفحة: 6، مرقون بحوزة الباحث.

خلاصة البحث

إثر رحلة أدبيّة، وجولة صوفيّة، إطار حيطة حول إنتاجات شعريّة، وإبداعات فنّيّة «للأدب **القادريّ الفاضليّ**»، محاولة سبر مدى عمق من أغوار عملاقيّة شاعر من فطاحل الشّعر الإفريقيّ العربيّ، وداعيّة من أبرز الدّعاة الإسلاميّين في نهاية القرن الثّالث عشر - وبداية القرن الرّابع عشر الهجريّين، حاول هذا البحث أن ينهض بمهمّة عويصة، فحواها إجلاءُ جَوٍّ جِدِّ مهمّ من جوانب شاعريّته المدهشة؛ جرّاء عبقريّة شخصه الصّوفيّ، وشخصيّته العلميّة، الّتي طرقتْ معظم الفنون الشّعريّة، والإبداعات الفنّيّة، والمحسّنات البلاغيّة.

أوّلًا: ألقيْنا الضّوء على أهميّة الشّعر العربيّ الفصيح لدى الشّاعر الرّبّانيّ الشّريف سعد الدّين أبي عبد العزيز الشّيخ محمّد سعد بوه - بيّض الله تعالى وجهه يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه -، وكذلك العوامل المؤثّرة في تجربته الشّعريّة، وخصائص الشّعر العربيّ لديه، وحاولنا أيضًا إضفاء شيء من الأشعّة حول طبيعة شعره وشاعريّته، وتحنّكه في روعة الإبداع الفنّيّ، وجودة القرض الشّعريّ؛

ثانيًا: وقد استخلصنا العِبَر عن بَوح المصابيح ، تلقاء أغراض الشّيخ سعد أبيه - أكمل الله تعالى له دُنْيًا وأُخْرًا كلّ ما يرتجيه - الشّعريّة ، وأوضحنا أشهر وقفاته في السّفر التّطوّريّ نحو الأغراض الشّعريّة القديمة ، والأغراض الشّعريّة الجديدة ، وضخامة إنتاجاته الأدبيّة والصّوفيّة ، وينضاف على ذلك غَوصُنا في عمق أمواج خِضمّ المعرفة الإلهيّة ، وعُبَاب الأذواق العرفانيّة ؛ ارْتواءً من أصداف المقامات التّمكينيّة ، والأحوال التّلوينيّة ، مع بسط

مصطلحات السّالك حِينًا ، وقبض مسمّيات السّائر حِينًا آخَر ، جَنابَ درب القوم ، متطفّلًا العوم ، في بحر اللّوم ، تجاه ربّ القوم ؛

ثالثًا: ولقد بَسطنا حصير الطّرح الأدبيّ، تِجَاه جمال الهندسة الشّعريّة، وَوِجَاه جلال الهيللة الصّوفيّة، وسَرقْنا نَماذج العرض من شعر الشّاعر الشّريف - رضي اللّه عنه - مُمْتَطِيًا جوادَ المطالع والمضامين والمؤخّرات، مُبْرزًا أجواء متلاصقة للشّعر السّعديّ الفاضليّ القادريّ، من آليّات الثّقافيّ مع أبناء جِنْسه.

وأمّا الأبعاد الفنّيّة فهي غير مزجاة البضاعة في صِيَغِ الشّاعر الرّبّانيّ - رضي اللّه عنه - عند إعداد نصٍّ من نصوص شعريّة صوفيّة. وقد أتى لهذا الطّرح الأدبيّ= الصّوفيّ أُكُلَهُ الطّريّ، وقد صُبَّ مِلحَ إيحاءات من «**جَمَالِيَّات الرَّمْزِ والْإِيحَاءِ**» في الأسلوب المزجيّ، وتقليب الموسيقى الخارجيّة والدّاخليّة، وتلحين إيقاعهما في قالَب التّصوير البلاغيّ، مُسْكِبًا بعد نَضج الخُضَر على جِفَان {**المعاني - والبيان - والبديع**}.

ثبت فهرست المصادر والمراجع

أوّلًا - المصادر

1- القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم؛

2- صحيح البخاريّ، للإمام أبي عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاريّ الجعفيّ، ط: دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع؛

3- سنن التّرمذي، للإمام محمّد بن عيسى بن سورة التّرمذي، ط: دار الغد الجديد (1435هـ/ 2010م).

ثانيًا - المراجع

1-البُعد الفنّيّ في شعر المديح النّبويّ للشّيخ أحمد بمب امبَاكّي ، تأليف المفتّش الدّكتور عبد الأحد لوح ، طوبى - السّنغال ، ط:1، س: (1440هـ/2018م)؛

2- التّجلّيات النّورانيّة في السّيرة السّعديّة، تأليف الباحث أبي سعد أبيه الحاج مالك جوب القادريّ، منشورات تمبوكتو للنّشر والتّوزيع، دكار - القاهرة، ط:1، س: 2024م، النّسخة التّجريبيّة؛

3- جماليّاتُ الرّمز في الشّعر الصّوفيّ «**محيي الدّين ابن عربي أنموذجًا** »، إعداد الباحثة: هدى فاطمة الزّهراء ،بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير ، مرقون بحوزة الباحث ؛

4- خلاص الذّهب في سيرة خير العرب، الشّيخ الحاج مالك سه التّواونيّ ، مخطوط بحوزة الباحث ؛

5- ديوان الشّيخ ماء العينين، لشيخ الإسلام العارف بالله العالم العلّامة المشارك الدّرّاكة الهمام سيّدي ماء العينين ابن العالم العامل القطب الكامل الشّيخ سيّدي محمد فاضل، نفعنا الله ببركاتهما وعلومهما آمين (ت: 1328هـ)، تحقيق: بسّام محمّد بارود، عفا عنه

الكريم الودود بجاه صاحب المقام المحمود - صلّى الله عليه وسلّم - إصدارات السّاحة الخزرجيّة، أبو ظبي - دولة الإمارات العربيّة المتّحدة، ط: 1، س: 1429هـ/2008م؛
6- ديوان الشّيخ سعد بوه بن الشّيخ محمّد فاضل بن مامين ، دراسة وتحقيق وشرح الدّكتور يحي ولد البرّاء ، منشورات جمعيّة النّور السّاطع للتّراث والثّقافة ، ط:1، س: 2022م/1443هـ، طباعة: دار الإسراء - القاهرة ؛
7- ديوان نيل المراد للشّيخ التّراد بن الشّيخ العبّاس بن الشّيخ الحضرمي بن الشّيخ محمّد فاضل بن مامين القلقميّ رضي الله عنهم أجمعين، مرقون بحوزة الباحث؛
8- الشّيخ الحاج مالك سه التّواونيّ - رضي الله عنه - حياته وشعره، إعداد الدّكتور محمّد انياغْ ، بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير في الأدب العربيّ ، جامعة إفريقيا العالميّة - السّودان ، مرقون بحوزة الباحث ؛
9- الشّعر العربيّ في الغرب الإفريقيّ خلال القرن العشرين الميلاديّ، تأليف الدّكتور كبا عمران الغينيّ، منشورات إيسيسكو - المغرب، المجلّد الثّاني، ط:1، س: 2011م؛
10- فيوضات الأقطاب في الصّلاة على خير الأحباب، تأليف القطب الشّيخ محمّد تقيّ الله، المطبعة الوطنيّة بالجمهوريّة الإسلاميّة الموريتانية، ط:1، س:2020م؛
11- كتاب إزالة الرّيْن عن معنى البيتيْن ، تأليف الشّيخ التّراد بن الشّيخ العبّاس الفاضليّ ، مخطوط بحوزة الباحث ؛
12- منبع الارتجال والغوص في مشاهد الرّجال، نظم العارف بالله تعالى الشّيخ سيدي محمد سعد بوه بن الشّيخ محمّد فاضل بن مامين القلقميّ - رضي الله عنهم أجمعين - مرقون بحوزة الباحث؛
13- مرجع الطّلّاب في النّقد التّطبيقيّ، تأليف الدّكتور عماد سليم الخطيب، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان؛

14- المديح النّبويّ في الشّعر الموريتانيّ الفصيح (**النّشأة ومراحل التّطوّر**)، إعداد: محمّد فاضل ولد أحمد، بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها، المعهد العالي للدّراسات الإسلاميّة - موريتانيا، نسخة مرقونة بحوزة الباحث؛

15- ملامح الأدب الصّوفيّ القادريّ في ديوان الشّيخ سعد أبيه الفاضليّ، دراسة ممزوجة بين التّحليل الصّوفيّ والنّقد الأدبيّ، بحث مقدّم لنيل درجة الماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها، من الجامعة الإسلاميّة بمنيسوتا- الولايات المتّحدة الأمريكيّة/ فرع السّنغال، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة/ قسم اللّغة العربيّة _ إعداد الباحث: أبي سعد أبيه الحاج مالك جوب القادريّ، بإشراف الدّكتور أبي أسامة محمّد دخيسي/ المغرب، العام الدّراسيّ: 1443هـ_ 1444هـ / 2022م _ 2023م.

اللّهمّ صلّ أفضل صلواتك، على أسعد مخلوقات، سيّدنا ومولانا محمّد النّبيّ الأمّيّ وعلى آله وأصحابه وأزواجه وسلّم، عدد معلوماتك، ومداد كلماتك، كلّما ذكرك وذكره الذّاكرون، وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون!

سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون، وسلام في الدّنيا، وسلام في البرزخ، وسلام الآخرة، وسلام على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين!

{حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ! }

فهرس المحتويات

ملخّص البحث 3

-**أسباب اختيار الموضوع:** 5

-**مشكلة البحث:** 5

-**أهمّيّة البحث:** 6

-**أهداف البحث:** 7

-**أسئلة البحث:** 7

-**منهج البحث:** 7

-**هيكل البحث:** 8

الفصل الأوّل: عبقريّة الشّيخ سعد أبيه - رضي الله عنه - في قرض الشّعر العربيّ الفصيح ...9

المبحث الأوّل:أهمّيّة الأدب لدى الشّيخ سعد أبيه القلقميّ، رضي الله عنه..... 10

المبحث الثّاني:العوامل المؤثّرة في تجربة شعره، وتخلقة شاعريّته..... 12

المبحث الثّالث:خصائص الشّعر الصّوفيّ للشّاعر الرّبّانيّ الشّيخ سعد أبيه رضي الله عنه 14

الفصل الثّاني:أغراضه- رحمة الله تعالى عليه - الشِّعريّة 19

المبحث الأوّل:الأغراض الشِّعريّة القديمة 20

_ **أوّلًا: الغزل** 20

_ **ثانيًا: الفخر**..... 22

_ **ثالثًا: الرّثاء** 23

المبحث الثّاني:الأغراض الشّعريّة الجديدة..... 26

_**أوّلًا: التقريظ** 26

_**ثانيًا: الوصيّة أو الإرشاد:**..... 29

_**ثالثًا: المناظرة الشّعريّة** 31

المبحث الثّالث:ضخامة إنتاجاته الشّعريّة، رضي اللّه عنه..... 35

الفصل الثّالث:جماليّات الرّمز والإيحاء في الأدب القادريّ الفاضليّ «شعر الشّيخ سعد أبيه - رضي اللّه عنه - أنموذجًا » 38

المبحث الأوّل:مفاد الرّمز والإيحاء بين المعاجم اللّغويّة، والمصطلحات الصّوفيّة 39

المبحث الثّاني:رمز الخمر والسّكر والثّمل في الحضرة السّعديّة الفاضليّة القادريّة بغرب إفريقيا الغربيّة جنوب الصّحراء..... 44

المبحث الثّالث:نَمُوذَجٌ حَيٌّ من شعر العارف باللّه تعالى الشّيخ سيدي سعد أبيه القلقميّ - رضي اللّه عنه - بين الفناء بالرّوح، والبقاء بالذّات..... 48

خلاصة البحث..... 53

ثبت فهرست المصادر والمراجع 55